الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون - تيارت -

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

تخصص فلسفة

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر تخصص فلسفة عامة الموسومة بـ:

الفكر الاصلاحي الحديث محمد عبده "أنموذجا"

من إعداد الطالبة:

- ناظر سليمة

إشراف:

الأستاذ راتية الحاج

لجنة المناقشة:

بوعمود أحمد	أستاذ مساعد " أ "	رئيسا
راتية الحاج	أستاذ مساعد " أ "	مشرفا ومقررا
بهلول عبد القادر	أستاذ مساعد" ب "	مناقشا

السنة الجامعية:

2016-2017م/1437-1438هـ

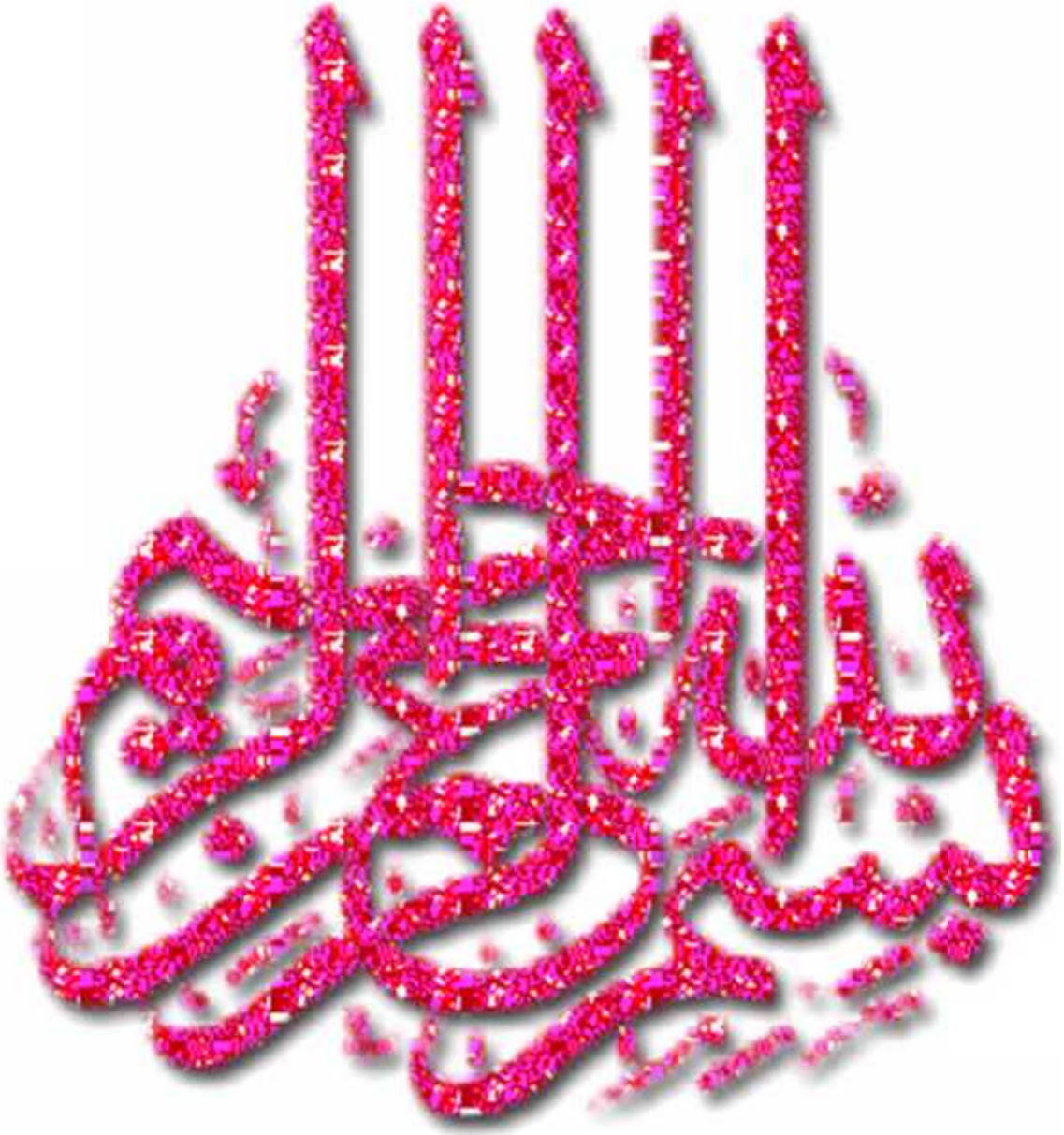

شكـــر وعرفـــان

الشكر الأول والأكبر للمولى عز وجل

فلولاه لما تم أي شيء

والشكر الجزيل لعائلتي الكريمة، بدعمها المادي

والمعنوي، الشكر والعرفان للأستاذ المشرف "راتية الحاج"

له كل التقدير على صبره الجميل معي، وعلى إرشاداته وتوجيهاته

القيمة، العرفان والتقدير والاحترام إلى كل أساتذة قسم الفلسفة

على مجهوداتهم الجبارة طوال خمس سنوات.

أكن كل الحب والتقدير والاحترام إلى الصديق والأخ الذي ساندني

كثيرا "بهلول محمد "

الإهـداء

إلى التي حملتني وهنا على وهن وفصالي

في عامين، إلى التي سهرت الليالي لراحتي إلى بهجتي

وسروري، إلى الذي قدم النفس والنفيس لتدريسي

إلى من قال فيهما الله سبحانه وتعالى" وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ

أمي الغالية أطال الله في عمرها "فضيلة"

أبي الحنون أدامه الله لي ذخرا يظل رأسي به شامخا وإلى عمي أمان الدنيا وأملي وعيوني "عبدالقادر" وزوجته أكن لها كل الحب والتقدير

إلى فلذات كبدي ومن أضاءوا أنوار حياتي ودربي إخوتي الأعزاء:

عبد الرحمن، أحمد، عبد القادر، محمد.

وأخواتي: حنان، حسينة، مريم، فاطمة الزهراء، خيرة.

إلى نور دربي في الدراسة صديقاتي وقرة عيني:

هدى، صباح، بديرة، سهام، كريمة، فاطمة، نسيمة.

وإلى أعز أصدقائي ماحي مراد، مختار سانة، يوسف وخالد

إلى أستاذي المشرف: راتية الحاج.

وإلى كل من كتب معهم يوما في قسم الفلسفة وجمعتني بهم ذكريات جميلة

وإلى من تسعهم ذاكرتي ولا تسعهم ورقتي هده أهدي هدا الجهد المتواضع

سليمـة

مقدمة

مقدمة

في الوقت الذي كانت فيه الدول الغربية تردع عصور الظلام التي عاشتها القرون طويلة وكانت تتهيأ لدخول عالم التقدم فكريا وعلميا وصناعيا واقتصاديا واجتماعيا، كانت الأمة العربية والعالم الإسلامي يعيش أصعب حالاته من التقهقر والفساد والانحطاط الذي مس كافة المجالات ومما زاد الأمر سوءا الأطماع الغربية، فكان المجتمع العربي الإسلامي بحاجة إلى من يبعث فيه روح اليقظة وإصلاح أوضاعه من الأعماق.

لدلك فإن الباعث على الإصلاح لم يكن لترميم المؤسسة الدينية وإعادة بناء علاقتها، مع المجتمع بل كان الإصلاح هو إصلاح حال المجتمع من الأعماق لأنه يعاني من التأخر مقارنة بالغرب المتقدم.

فالأمة العربية والعالم الإسلامي بحاجة إلى يقظة الوعي بعد إدراكه لمستوى التقهقر الذي يعيشه وقد ظهرت عدة حركات إصلاحية قادها الحكام والسلاطين وتمخض عن إصلاحاتهم ظهور مصلحين غيورين على الأمة العربية الإسلامية، أخذوا يشخصون المرض ولكن كلا حسب ظروفه الاجتماعية والسياسية وبيئته الطبيعية، وكانت القضية الإصلاحية في طليعة القضايا التي شغلت بال الجيل الأول من المصلحين ومن الجيل الثاني أمثال محمد عبده ولكن اختلف توجهه وطريقة إصلاحه، كما عد من أبرز دعاة التجديد الفكري والديني في عصره. والذي خاض العديد من المعارك الفكرية ودخل في صميم المشكلات الاجتماعية والفكرية ولم يكن متفرجا من الخارج وقد خاض بشجاعته ويقين ونبل وإخلاص العديد من المعارك بحثا عن التجديد والتنوير وسعيا من جانبه نحو الضياء.

وهنا نطرح الإشكال الآتي: كيف تصور محمد عبده النظام الإصلاحي للدولة العربية الإسلامية لمجابهة الخطر الأجنبي؟ وما الأسس الفلسفية التي أقام عليها فكره الإصلاحي؟ وما أبعاد مشروعه؟ هدا هو المأزق الذي عاشه مفكرو القرن 18و19 ميلادي بل إلى يومنا هذا، ومن هنا لم تكن الأفكار الإصلاحية على وجهة واحدة.

من خلال ماتقدم فإن القضية الأساسية التي يدور حولها الفكر الإسلامي هي قضية التخلف وطريقة التأخر الحضاري خلال بناء دولة حضارية لها أطرها الخاصة التي تعبر عن طبيعة واحتياجات المجتمع العربي الإسلامي على نحو يحقق التوازن بين ثبات مقوماته وتغير أدواته بما يلائم التطور الحضاري الحاصل في الدول الغربية المتقدمة. ويتركز جوانب على هذه الإشكالية من خلال فكر محمد كنموذج نتطرق إليه في عملية الإصلاح وكل جوانبها.

التعريف بالموضوع

فكرة الإصلاح كانت نتيجة قراءة محمد عبده لصورة انحطاط المسلمين، وتردي وضعية المجتمع العربي الإسلامي وفكرة الثاقب في الكثير من الجوانب السياسية والاجتماعية...ودعوته إلى النور ولم يكن من خفافيش الظلام وأشباه المثقفين وكانت فكرة الإصلاح تتصل بالتفكير كما تتصل بالعمل ولكنه أخذ حق العمل عل الإصلاح الرشيد المستنير بعيدا عن كل عقبات الجمود والخرافة، ونتيجة الواقع المر المقلد بدأ الشيخ الإمام محمد عبده التفكير في الأساليب والآليات والشروط التي تمكن الأمة العربية الإسلامية من الخروج من ظلام وتقليد أعمى إلى عقول فتية ودولة مستنيرة في كل أنحاء المجتمع العربي الإسلامي.

أهمية الدراسة

جعل محمد عبده من التربية والتعليم هما أساس بناء الدولة العربية الإسلامية و التي بواسطتها ستحافظ على هويتها العربية الإسلامية فتبرز هذه الدراسة هنا أهمية التربية والتعليم كأجندة تساهم في درء سهام الخطر في ظل متغيرات عالمية تحيط بالمجتمع العربي الإسلامي، يهدد لحياته ولطمس هويته هذا من جهة، ومن جهة أخرى إبراز دورهما في تغيير الواقع السياسي كعامل للتقدم، وكيف تسهم في بناء مشروع حضاري يهز المجتمع من الأعماق ومن ثورة هادئة محددة الأهداف بدل ثورة سياسية أو شعبية خاطفة قد تنجح إذا توفرت أهدافها السامية و أدواتها الصحيحة وكذا إبراز محمد عبده من السياسة ومن نظام الحكم الذي يقودنا إلى تحقيق كل المشاريع الحضارية الداعية إلى درء المستعمرات الأجنبية.

ومن خلال ما تقدم عن أهمية هده الدراسة فإنني أستهدف تحليل الفكر الإصلاحي في كل جوانبه الذي قاده محمد عبده وإيمانه بأن أسلوب التربية والتعليم هما أساس إصلاح المجتمع والارتقاء به للحفاظ على ثوابت الأمة ومواكبة التغيرات الاجتماعية الحاصلة، فحاولت إيضاح رأي محمد عبده التعليمي التربوي كمصدر للاستشارة الفكرية في حاضرنا وقوة حافزة يستند إليها في الاندفاع إلى المستقبل والنهوض بمستقبلها في ظل تربية وتعليم المسلمين بحسب استخدام العقل فيها بما يخدم المجتمع العربي الإسلامي.

أهداف الدراسة

أهدف من خلال هدا البحث إلى إعطاء صورة تصورها محمد عبده لإصلاح الأمة العربية الإسلامية بكل أطرافها التي تضع التعايش مع الرهانات الحضارية المعاصرة لبلوغ الحضارة فيها بكل مستويات المجتمع الأساسية للتقدم السياسي والاجتماعي والثقافي والتكنولوجي. هذا من جهة كذلك من جهة أخرى أسرار أسس النظام السياسي الإسلامي الإصلاحي وكيف تصوره عبده في ظل الظروف الراهنة فوضع تصورا بذلك للسلطة جعل من التربية والتعليم الأساسي المنتسب لها.

ومن جهة أخيرة ضرورة مواقف للإمام محمد عبده حول عدة مسائل نجد منها موقفه من العلمانية، الإنجليز، التقليد، الاستبداد.

من خلال ذلك أن يكون النظر في فكر محمد عبده ومفهومه السياسي للدولة والسلطة والحكومة وأساس بناء كل هذا الذي جعل منه الإصلاح التربوي والتعليمي يؤدي إلى تأسيس مجتمع ناضج يمشي على خطى ثابتة نحو التقدم الحضاري.

أسباب اختيار الموضوع

أ.الذاتية: من بين أهم الأسباب التي جعلتني أختار هدا الموضوع هي الرغبة الصادقة في إضاءة شمعة الإصلاح والتغيير، وهي إعادة النظر في المناهج التربوية والوسائل التعليمية لتكون سبيلا لإصلاح السياسة وفي الأهداف التي تسعى إليها تربية النشء لتتجاوب تربيتهم مع واقع مجتمعهم في إطار

المحافظة على الهوية الاجتماعية. من جانب آخر توضيح أن الإسلام دين دنيا وآخرة وأنه لا يتعارض مع المدنية الحديثة وهذا ما دافع عنه محمد عبده.

ب.الموضوعية: العملية الإصلاحية عملية مركبة لا تتم برفع الشعارات وإصدار القرارات ذلك أن إصلاح الفرد والأسرة والمجتمع لا يكون إلا بتربية واعية وهادفة التي تسعى إليها والى الثوابت التي تريد الحفاظ عليها وهذا ما نجده مع محمد عبده وما يبقى هو الفهم الصحيح للدين الإسلامي لبلوغ التغيير الحقيقي للأمة العربية الإسلامية من أجل بلوغ مصاف الدول المتقدمة.

الدراسات السابقة

قمت بالبحث للدراسات السابقة ذات العلاقة بموضوعي وتم الحصول على مجموعة من الدراسات سأعرضها كما يلي:

1. دراسة وهي شهادة ماجستير بعنوان "الأسس الاجتماعية للإصلاح التربوي عند الإمام محمد عبده" للباحث أحمد كعبوش، جامعة الجزائر (المدرسة العليا للأساتذة)2009، هدفت هده الدراسة إلى التعريف بالحركة الإصلاحية الاجتماعية التربوية وأهدافها مركزة على الجانب الاجتماعي (الأسرة والمرأة) التربية والتعليم وما يرتبط بهما كون التربية والتعليم هما أساس الحركة الإصلاحية لمحمد عبده، لأن الإصلاح سواء تعلق بالفرد أو الجماعة بالنسبة لمحمد عبده لا يكون إلا بالتربية الصحيحة السليمة والهادفة مبينة أن الحركة التربوية لمحمد عبده جاءت كرد فعل على المشروع الاستعماري الذي عمل على استهداف مقومات المجتمع العربي الإسلامي.

2. دراسة وهي شهادة ليسانس بعنوان الإصلاح عند محمد عبده للباحثة فتيحة قرواني، بوزريعة الجزائر 2008-2009 هدفت الدراسة إلى التعريف بالحركة الإصلاحية التي كانت تعيشها الأمة العربية الإسلامية جراء سياسات الخطر الأجنبي التي كانت تهدف إلى القضاء على الهوية الوطنية الإسلامية، وإبراز خصائص التعليم القومي ودوره في الحفاظ على تراث الأمة ومقوماتها من الاندثار وكذا المساعدة على نشر الوعي القومي والإصلاحي بين مكونات الأمة.

3. دراسة وهي شهادة ماجستير بعنوان: إشكالية التوفيق بين الأصالة والمعاصرة في فلسفة محمد عبده، للباحث موسى بوبكر، بوزريعة (المدرسة العليا للأساتذة) 2004-2005، هدفت هده الدراسة إلى نقاط مهمة ذات العلاقة والتوفيق بالتربية والتعليم من خلال تباينها لطرائق ومناهج الفكر الإصلاحي لمحمد عبده ومجمل الممارسات التربوية لأصول الحركة الإصلاحية في العالم العربي الإسلامي.

منهج الدراسة

استلزمت طبيعة الدراسة استخدام المنهج الوصفي التحليلي، فالوصف عرض المادة العلمية من خلال عرض مشاريع الإصلاح ونخص منها عصر النهضة العربية الإسلامية، أما التحليل أهدف من خلاله إلى تقييم الأفكار الإصلاحية وأساليب التجديد إلى التفسير الأحسن من أجل التعرف على مضامين الآراء والدوافع التي يرمي إليها.

وإن الدراسة لم تقتصر على مجرد الوصف والتحليل بل اعتمدت أيضا المناقشة ولا يمنع هذا من استخدام مناهج أخرى كالمنهج التاريخي والمنهج المقارن وهدا على حسب مقتضيات الموضوع.

كما استلزمت طبيعة الدراسة التطرق إلى تحليل المفاهيم والأسس الاجتماعية والسياسية بحثا عن المعاني والدلالات والوظائف التي حملها هدا المفهوم في الفلسفة والاجتماع والتربية والسياسة وقد انتقل التحليل إلى بيان الخصائص والمعاني والقيم التي يستند إليها تصور الإصلاح للأمة العربية الإسلامية، من خلال الكتابات التي بحثت هدا المفهوم.

هيكلة البحث

استلزمت طبيعة الدراسة تقسيم البحث إلى مقدمة وثلاث فصول وفي الأخير الاستنتاجات التي يمكن الخروج بها كإجابة على الإشكالية المطروحة وأما محتويات كل فصل على النحو التالي:

الفصل الأول: وهو عبارة عن مربعية فكرية للفكر الإصلاحي والفكر الديني والمفاهيم الرئيسية وعليه ذكر أصول الإصلاح التي استقاها محمد عبده من سابقيه. **الفصل الثاني:** تمثل في تجليات الإصلاح عند الإمام الشيخ محمد عبده، واستهليت بالمظهر السياسي وذكر عدة مواقف للإمام

محمد عبده تجاه الاستعمار (موقفه من الاستعمار الانجليزي والاستبداد العثماني وكدا موقفه من العلمانية وكذا مناداته بالوطنية) وعليه المظهر الاجتماعي تحديدا في التربية والتعليم والأسرة والمرأة، وصولا إلى المبحث الأخير الذي تمثل في المظهر الديني والمظهر الأخلاقي وفي الأخير وصولا إلى **الفصل الثالث** والأخير الذي يعتبر كدراسة تحليلية نقدية وهذا بذكر الأفاق الإصلاحية (الأهداف) وعليه الانتقادات الفكرية منها الإيجابية وكذا السلبية وأخيرا الميراث الإصلاحي من متأثرين وناقدين.

الخاتمة: سأحاول فيها استخراج جملة من الاستنتاجات التي يمكن الخروج بها كأجوبة على الإشكالية المطروحة حول مدى إسهام العملية الإصلاحية بكل أطرها وتوجهاتها، العملية التربوية والتعليمية وإعادة صياغتها وفهم الدين وتفسير القرآن على حسب متطلبات كل زمان لبناء المشروع الحضاري في إطار المحافظة على الهوية السياسية والاجتماعية مع مواكبة التطورات الحاصلة في المجتمعات المتقدمة.

الصعوبات التي اعترضتني في انجاز هده الدراسة

من بين الصعوبات التي واجهتني شح المكتبات من المراجع والمصادر التي تتناول الفكر الإصلاحي بصورة مباشرة وعميقة عند محمد عبده، وخاصة في ولاية تيارت هدا ما استدعاني للتنقل خارج الولاية (الجزائر، بلعباس...)

حياة الامام الشيخ محمد عبده

ولد الشيخ محمد عبده حسن خير الله في قرية محلة نصر بمركز شبراخيت من أعمال مديرية البحيرة سنة 1849 -1905هـ في أسرة تعتز بكثرة رجالها ومقاومتهم لظلم الحكام، وتحملهم العديد من التضحيات هجرة وسجنا وتشريدا[1]، كما ولد من أب ورجل متصوف يدعى عبده خير الدين، وأمه جتينة أيم ذات ولد من صته شيشر، من مركز السلطة بمديرية الغربية تزوجها أبوه في هجرته مطاردا من بعض الحكام.

وكان ممن رزقوا بسطة في جسومهم وقوة، ومرنوا على الرماية والفروسية، فكسبوا من الهيبة بقوتهم وبطشهم فوق ما كان لهم من عز ومال.[2]

قال المرحوم قاسم بك أمين في وصف الأستاذ "بلغت منه طيبة النفس إلى درجة تكاد غير محدودة، كان يجذبه الخير كما يجذب المغناطيس الحديد فيندفع إليه ويسعى إلى كل نفع للغير عام أو خاص".[3]

تعلمه

تلقى تعليمه الأولي للقراءة والكتابة وحفظ القرآن وهو في السابعة من عمره كما تلقى معارف جمة بين علوم عربية وعلوم شرعية وعلوم عقلية وفنون رياضية ودرس نظريات الطب والتشريح. أخذ جميع تلك الفنون عن أستاذة ماهرين وعني والده بتربيته تأيدت العناية به قوة فطرته.[4]

عظم أمر الرجل في نفوس الطلاب واستجزلوا فوائد الأخذ عنه وأعجبوا بدينه وأدبه وانطلقت الألسن بالثناء عليه وانتشر صوته في الديار المصرية، ثم وجه عنايته لحل عقل الأوهام عن قوائم

---

[1] محمد عبده: الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، تح.تق: محمد عمارة، ج1، ط1، دار الشروق بيروت، لبنان، 1993، ص22.

[2] محمد عبده، جمال الدين الأفغاني: العروة الوثقى، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1980، ص26.

[3] محمد عبده: الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، المصدر السابق، ص27.

[4] محمد عبده، جمال الدين الأفغاني: العروة الوثقى، المصدر السابق، ص16.

العقول فشطف لدلك ألباب واستضاءت بصائر وحمل تلامذته على العمل في الكتابة وإنشاء الفصول الأدبية والحكمية والدينية فاشتغلوا على نظره وبرعوا وتقدم فن الكتابة في مصر بسعيه وكان السيد جمال الدين كثير التطلع إلى السياسة، شديد الميل إلى الحرية قوي الرغبة في انقاد المصريين من الذل.[1]

وقف على روح الإصلاح الجديد في العالم الإسلامي وقد ضمن ملاحظاته وأفكاره سلسلة من المقالات في كتاب سماه" مستقبل السلام"، وقد نشر أراؤه العامة في مقالاته السياسية ككتابه على الدهريين ورسالته "الإسلام والعلم" وأفنى حياته في العروة الوثقى". وقف الأفغاني الشطر الكبير من حياته على الدفاع عن البلدان الإسلامية المهددة بخطر التوسع الأوربي.[2]

فهو من أوائل العاملين على تطور الروح الوطني في هده البلاد، فاستطاع بخطبه الملتهبة أن ينفث في النفوس نزوعا إلى الحرية ورغبة في العدالة فكان جمال الدين يخطب ويتكلم ولكن لكلامه أثر عميق في إيقاظ الناس وتنبيه المحكومين فاستطاع محمد عبده بفضل ماتلقاه عن أستاذه من هداية روحية أن يتحول نهائيا إلى دراسة العلوم المختلفة كالفلسفة والرياضيات والكلام والأخلاق والسياسة وغيرها.[3]

مؤلفاته:

أبرز أعماله الفكرية بعد دروسه وتدريسه مقالات في الصحف وهي: تفريط جريدة الأهرام، الكتابة والقلم، العلوم الكلامية والدعوة إلى العلوم العصرية، كما صاغ في هده المرحلة العديد من أثار أستاذه الأفغاني مثل: حاشيته على شرح الدواني للعقائد العضدية.[4]

---

[1] محمد عبده، جمال الدين الأفغاني: العروة الوثقى،المصدر السابق، ص 16.

[2] ألبرت الحوراني: الفكر العربي في عصر النهضة 1798-1939، تر: كريم عزقول، ط3، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، 1977، ص 140.

[3] عثمان أمين: محمد عبده، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، لبنان، د.ت.ط، ص31.

[4] محمد عبده: الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، المصدر السابق، ص 35.

ومن مقالاته السياسية التي كتبها:

مصر وجريدة الجنة–مصر والمحاكم الأهلية–وبعض الرسائل لعدد من الساسة والوجهاء، رسالة السير صمويل بيكر في السودان ومصر وانجلترا.

ومن أبرز أعماله أيضا: فتاويه وأحاديثه للصحف والمجلات، ورسالة التوحيد، الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية.

أما أعماله النافعة فكثيرة لا يحيط بها بيان نذكر منها تدريس القرآن الشريف وأعماله في المجلس الشوري، والرد على الدهريين.[1]

وفاتـه:

قد خططنا للمعالي مضجعا ودفنا الدين والدنيا معا.

فتوفي في سنة 1323 هـ، حياته 57 عاما قضى أولها في التعلم ووسطها في التعليم وآخرها في إعلاء الدين ونفع المسلمين.

أيها الدين ابك حبرا كان طودا مشمخرا.

منصب الإفتاء أزح مات مفتي الناس حرا.[2]

[1] محمد عبده: الأعمال الكاملة، المصدر السابق، ص38.

[2] محمد عبده: تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده، منشئ مجلة المنار، ج3، ط2، الدار الفضيلة، 2006، ص11.

الفصل الأول

الفصل الأول: المرجعية الفكرية للفكر الإصلاحي عند محمد عبده

المبحث الأول: ضبط المفاهيم: الإصلاح، التجديد، التقليد، النهضة.

المبحث الثاني: المرجعية الفكرية والمرجعية الدينية عند محمد عبده.

المبحث الثالث: أصول الإصلاح في فكر محمد عبده.

تمهيد

كان الشباب المصريون مطلع القرن العشرين في حيرة من أمرهم، فأخذوا يقلبون البصر في الظلام، يتلمسون بصيصا من نور ويتطلعون إلى رائد يرشدهم ويهديهم سواء السبيل، وسرعان ما وجدوا ضالتهم في شخص الأستاذ الإمام.

في رجل قد زانته الحكمة وصقلته الثقافة وحنكته التجارب، رجل عرف كيف يجمع بين القديم والحديث ويوالف بين الدين والعلم ويعيش لأمته قبل أن يعيش لنفسه وأسرته، فزود التفكير المصري بالوحدة والانسجام وطبعه بطابع التجديد والدقة واستطاع أن يكون مصدر إلهام في الدين والسياسة والاجتماع والفلسفة.

وإن الحركة الإصلاحية والنهضة الإسلامية التي برزت بفعل مجهود (**محمد عبده**) وعليه الطابع الشمولي التي اتسمت به الحركة الإصلاحية الحديثة في العالم الإسلامي جعلها تتخطى مصر لتشمل العالم الإسلامي ونتيجة الظروف الصعبة التي مرت بها مصر كان لا بد من أن يظهر من يعيد ظهورها فكان **محمد عبده** من قادة الإصلاح والنهضة.

جرت سنة الله في خلقه بأن عظائم الأمور تتولد من صغارها

كما أن ضخام الأشجار تبسق من بزورها

المبحث الأول: ضبط المفاهيم

الإصلاح: Réparation

كان الشيخ محمد عبده يواجه مشكلة الإصلاح في شتى نواحيه، كان الشيخ عبده مصريا أزهريا ومصر مند عهود سحيقة أمة زراعية مرتبطة بالأرض، والأزهر من ناحية أخرى كان يمد الحياة الاجتماعية بعقبات متمسكة بدينها محافظة على أصولها.

وهذا التكوين واجه الشيخ عبده مشكلة الإصلاح، فبعد أن أدرك حقيقة المأساة الإصلاحية وجد من الضروري أن ينظر إليها بوصفها مشكلة اجتماعية، فالفضل في نشأة الحركة الإصلاحية واتجاهها يعود إلى تلك الاستعدادات الأصلية لدى الشيخ، ولقد وجد أساس هده الفكرة في كتاب الله حيث قال" ***إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ*** " (**الرعد الآية 11**) [1]

أي أنه لكي يتحقق الإصلاح يجب أن يبدأ خطوته الأولى من الفرد.

ولقد كانت المرحلة الأولى ادن في المنهج الإصلاحي لمحمد عبده هي تحرير العقل من قيود التقليد وتهدف المرحلة الثانية إلى تحقيق الفهم السليم للدين مع التشديد والتركيز على فترة النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين لأنها تعتبر العصر الذهبي للعرب والمسلمين.[2]

والدي ينتهي إلى أن كل ما يتعلق بالعقيدة الدينية لا يكمن في المذاهب الدينية أو رجال الدين بل إن السلطة النهائية ترجع إلى القرآن الكريم (قولا وفعلا).

فدعوة محمد عبده كانت بغية العودة إلى المنابع الأصلية للإسلام لقوله تعالى"***وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ*** " ***(الأنفال الآية 1)***.

---

[1]– مالك بن نبي: مشكلات الحضارة وجهة العالم الإسلامي، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سورية، (د ط)، (د ت)، ص52.

[2]– هشام شرابي: المثقفون العرب والغرب، دار النهار للنشر، بيروت،(د ط)، 1971، ص47.

الإصلاح: لغة.

من فعل أصلح، يصلح، إصلاحا، أي إزالة الفساد بين القوم والتوفيق بينهم وهو نقيض الفساد فالإصلاح هو التغير إلى استقامة الحال على ما تدعو إليه الحكمة، ومن هدا التعريف يتبين أن كلمة الإصلاح تطلق على ما هو مادي وعلى ما هو معنوي فالمقصود بالإصلاح من الناحية اللغوية الانتقال أو التغيير من حال إلى حال أحسن، أو التحول عن شيء والانصراف عنه إلى سواه.

وقد ورد لفظ الإصلاح في القرآن الكريم في أكثر من سورة مثل قوله تعالى" **وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ**"[1] وقوله مخاطبا فرعون "***إِن تُرِيدُ إِلاَّ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأرض وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ*** **مِنَ المصلحين**"[2].

أما اصطلاحا: فيعرفه بأنه تغيير أو تبديل نحو الأفضل في حالة الأشياء ذات النقائص وخاصة في المؤسسات والممارسات السياسية الفاسدة أو الجائرة وإزالة بعض التعسف أو الخطأ والإصلاح يوازي فكرة التقدم.[3]

وينطوي جوهريا على فكرة التغيير نحو الأفضل وخاصة التغيير أكثر ملائمة من أجل تحقيق الأهداف الموضوعية من أجل إزالة الفساد والاستبداد، وأن الإصلاح تعديل وتطوير في جميع العلاقات[4] لقوله تعالى" ***فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ*** **فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**"[5]

التجديد: INNOVATION

جدد الشيء صار جديدا، والتجديد إنشاء شيء جديد أو تبديل شيء قديم وهو مادي كتجديد الملبس والمسكن، أو معنوي كتجديد مناهج التفكير وطرق التعليم ويغلب على التجديد أن يكون

[1]- البقرة، الآية 220.

[2]- القصص، الآية 19.

[3]- الزبيدي باسم: الإصلاح وجذوره ومعانيه وأوجه استخدامه، مؤسسة الناشر للدعاية والإعلام، ط1، 2005، ص11.

[4]- المرجع نفسه، ص 13.

[5]- الأنعام: الآية 48.

مذموما في المجتمعات الزراعية شديدة التمسك بتقاليدها وأن يكون محمودا في المجتمعات الصناعية التي تقدس روح الاختراع.[1]

الجدة هي مصدر الجديد والجمع أجدة وجدد.

جاء في لسان العرب الجدة هي نقيض البله ويقال شيء جديد، وتجدد الشيء صار جديدا وهو نقيض الخلق، أوجد الثوب يجد صارا جديدا، والجديد مالا عهد لك به.[2]

فالفكر الإسلامي هو التفاعل بين عقلنا المتكيف بهده العلوم المنفعل بهده الظروف مع الهدي الأزلي الخالد الذي يتضمن الوحي والدي بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم.[3]

أما الدكتور علي شريعتي فأجاب عن الإشكالية المطروحة بتعبير آخر حيث قال لا إصلاح ديني في الإسلام بمعنى إعادة النظر في الدين، بل إعادة النظر في رؤيتنا وفهمنا الديني والعودة إلى الإسلام الحقيقي والوقوف على الروح الحقيقية للإسلام الأول.[4]

وكدا عمل المفكرين المجددين في الإسلام أمثال الدكتور إقبال والسيد جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده أجمعوا أم منهجية التجديد في الفكر الإسلامي لا تطال الدين أو الشريعة المقدسة التي هي وحي رباني أنزل على الرسول محمد عليه الصلاة والسلام وهي متجسدة في النص المقدس الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه أو من خلفه والدي لايجوز أن يضاف إليه شيء أو ينتقص منه شيء. فالزيادة في الدين حرام لأنها غلو والغلو حرام.

التقليد: TRADITION.

هو الأحد بقول الغير ممن ليس قوله حجة شرعية من غير مطالبته بالدليل الذي بين عليه حكمه هدا في مجال الأحكام الشرعية وهناك تعريف أخد دقة إذ يتناول كل ما يصدر عن الإنسان من أراء

---

[1] جميل صليبا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، 1982، ص 242.

[2] ابن منظور: لسان العرب، ج1، طبعة دار المعارف، مصر، (د ط)، (د ت)، ص 562،563.

[3] حسن الترابي: الفكر الإسلامي هل يتجدد، مكتبة الجديد، تونس، (د ط)، (د ت)، ص 23.

[4] علي شريعتي: الأمة والإمامة، مؤسسة الكتاب الثقافية، طهران، (د ط)، (د ت)، ص09.

أو أحكام وهو قبول قول الغير في مسائل الدين بلا دليل وإتباع الإنسان غيره فيما يقول أو يفعل معتمدا للحقيقة فيه من غير نظر وتأمل في الدليل.

والتقليد بهذا المعنى ضد الاجتهاد فهو يعطل ملكة الإنسان الفطرية *العقل* التي يستعين بها على ترتيب محصول الحواس وإدراك ما وراءها من المعاني المجردة.[1]

بالمعني الفعال والأصلي تناقل وفي الأغلب تقال على ما هو متناقل أي على ما يجري نقله في مجتمع (صغير أو كبير) وخصوصا في دين، نقلا حيا سواء بالكلام أم بالكتابة وإما بكيفيات التصرف. تستعمل الكلمة عموما بقصد تفريطي وتبجيلي[2].

النهضة:Renaissance

إن كلمة نهضة من المصطلحات الجديدة في اللغة العربية وقد صيغت من مادة (ن–هـ–ض) لتنقل إلى لغة الضاد مضمون الكلمة الفرنسية Renaissance منظور إليه كمشروع مستقبل عربي. إن مصطلح Renaissance ويعني لغويا ميلاد جديد، وهو يتمثل في قيام حركة تجديد واسعة وعميقة شملت الفنون والعلوم والآداب. وأن وعي النهضة عند العرب يقوم أساسا على الإحساس بالقارة.

الفارق بين واقع الانحطاط الذي يعيشونه وواقع النهضة الذي يقدمه لهم أحد النموذجين: العرب الإسلامي في الماضي والأوربيين في الحاضر. وهناك ثلاثة أطراف تحدد تصور العرب للنهضة: النموذج الأوربي والنموذج الإسلامي والانحطاط كما يعانونه ويزدادون وعيا به. ومن هنا كان التفكير في النهضة أو الثورة بحثا عن مشروع وتفكير في نموذج.[3]

---

[1] مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار القباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ص207.

[2] أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، ط2، مج 01 (A-B)، منشورات عويدات بيروت،2001، ص 1469

[3] محمد عابد الجابري: الخطاب العربي المعاصر، دراسة تحليلية نقدية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت)، ص22.

المبحث الثاني: المرجعية الفكرية والمرجعية الدينية.

في عام 1871 زار جمال الدين الأفغاني مصر للمرة الثانية فسعى محمد عبده للاتقاء به والتعرف عن كثب لما سمع عنه من أخبار طبقة الآفات لشهرتها حتى لازمه في مجالسه وظل الأفغاني لا يفارقه فلا يبتعد عنه، وكان الإمام يومئذ فتى متأثر ،كل عواطف قلبه الفتي بمنازع التصوف وكان يتلقى علوم الأزهر على أنماطها المعروفة وكان الأفغاني وحده قادرا على تخليص محمد عبده من حاله الصوفي ودفعه إلى الحياة العامة ودراسة العلوم المختلفة كالفلسفة والرياضيات والكلام والأخلاق والسياسة، مما لم يكن له مكان في مناهج الأزهر وكان هدا دافع لزرع بدور هدا العلم في كافة الأرجاء من طرف عبده.[1]

كما تأثر بمنهجه القويم في الإصلاح الذي يعتمد على التفاني في سبيل إصلاح الأمة والنهوض بها وإنارة شعوبها بحقوقها وتماسكها لرفع نير المستعمر عنها وقد توطدت العلاقة بينهما وأحب الواحد منهما الآخر حب إعجاب وإكبار من الشيخ وحب رعاية من السيد جمال وأمل في أن يكمل طريقه، وتلاقت نفسهما على السمو والنبل والرغبة الصادقة في العمل والشوق إلى الإصلاح والقيادة.[2]

وعن أثر هده الصحبة يقول الغمام "**إن أبي وهبني حياته ليشاركني فيها علي ومحروس، ويقصد أخويه، والسيد جمال الدين الأفغاني وهبني أشارك فيها محمد وإبراهيم وموسى وعيسى والأولياء والقديسين**"[3]

[1] عطية سليمان عودة أبوعادرة، مشكلتا الوجود والمعرفة في الفكر الإسلامي الحديث عند كل من الإمام محمد عبده ومحمد اقبال، دراسة مقارنة، ط1، دار الحداثة، 1985، ص 19 [1]

[2] محمد عبده: دروس من القرآن، ط1، دار احياء العلوم، بيروت، لبنان، 1907، ص09

[3] المصدر السابق، ص09.

وفي هذه الفترة أيضا أخد يشتهر ككاتب في الشؤون الاجتماعية والسياسية ودلك بفضل المقالات التي كان ينشرها فكتب أولها سنة 1872 الذي وضعه مقدمة لكتاب أستاذه الأفغاني **"الواردات"**. ونشر مجموعة من المقالات التي نشرها في جريدة الأهرام لكن كتاباته هده كانت لا تزال تعتمد على أسلوب السجع والدي تلخص منه في الفترات اللاحقة.[1]

فصار من أقرب تلامذته إليه وأقدرهم على فهمه فلما صدر قرار إبعاد جمال الدين الأفغاني عن مصر للمرة الأولى قال اليوم وداعه لبعض خاصته، ...**لقد تركت لكم محمد عبده وكفى به لمصر عالما**. وقال أيضا " **إنني خلقت في مصر خيرا كثيرا في علم محمد عبده**"[2]

وقال أيضا " قل بالله أي أبناء الملوك أنت" وذلك بسبب إعجابه التربوي به وهناك من سأله عن وصيته فقال **"حسبكم محمد عبده، حبيبكم محمد عبده من وصي أمين."**[3]

وقبل أن يبدأ محمد عبده حياته العملية كمدرس في الأزهر ثم في دار العلوم وقع تحت تأثير السيد جمال الدين الأفغاني الذي وجد فيه ضالته فيقول محمد عبده في رسالته أثناء نفيه إلى جمال الدين الأفغاني" **ليتني كنت أعلم مادا أكتب إليك وأنت تعلم ما في نفسي كما تعلم ما في نفسك صنعتنا بيدي، وأفضت على موادنا صورها الكمالية، وأنشأتها في أحسن تقويم،**

فيك عرفنا، وبك عرفنا العالم أجمعين بقدرتك وإرادتك فعنك صدرنا واليك المآب"[4]

بعد لقاءهما حضر الناشئ عن أستاذه دروسا نافعة في كتب الحكمة والمنطق وأصول الدين والتصوف وإذا علمنا أن تربية التقليد والمحاكاة تصلح للدين خلقوا للإتباع ولا تصلح للدين خلقوا على نصيب من قدرة الاستقلال والاجتهاد، فإن خير الأساتذة هو الذي ينبه في التلميذ ملكات

---

[1] ألبرت الحوراني: الفكر العربي في عصر النهضة 1939-1798، مرجع سابق، ص 164

[2] إسماعيل إبراهيم: شخصيات صنعت التاريخ في البطولة والفداء والنهضة الفكرية، عالم الكتب، مصر، القاهرة، (د ط)، 2003، ص169.

[3] عباس محمود العقاد: عبقرية الإصلاح محمد عبده، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت)، ص 102 .

[4] زكريا سليمان بيومي: التيارات السياسية والاجتماعية بين المجددين والمحافظين، دط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973، ص31.

ذهنية وضميره يستنهض في أعماق طبعه، هكذا كانت تربية جمال الدين لمحمد عبده وهو يدرج في خطواته الأولى عن طريق الإصلاح والعمل، وقد عرف الأفغاني ببصيرته ملامح تلك الثقة الوطيدة في نفس الطالب الناشئ.[1]

كما عقد في بيته درسا شرح فيه لبعض الطلبة بعض المؤلفات الفكرية الحديثة والقديمة مثل: التحفة الأدبية في تاريخ تمدن الممالك الأوربية.

كما شارك مع أستاذه في التنظيمات السياسية السرية التي أنشأها الأفغاني بمصر ورفع شعار الثورة "**الحرية المساواة الإخاء**" ودخل الإمام مع أستاذه الأفغاني في الحزب الوطني الحر الذي كان شعاره **مصدر للمصريين** أي لا للأجانب ولا لشراكسة.[2]

فهو من أوائل العاملين على تطور الروح الوطني في هده البلاد فاستطاع بخطبه الملتهبة أن ينفث في النفوس نزوعا إلى الحرية ورغبة في العدالة كان جمال الدين يخطب ويتكلم ولكن لكلامه أثر عميق في إيقاظ الناس وتنبيه المحكومين.

فاستطاع محمد عبده بفضل ما تلقاه عن أستاذه من هداية روحية أن يتحول نهائيا إلى دراسة العلوم المختلفة كالفلسفة والرياضيات والأخلاق والسياسة وغيرها.[3]

من الناحية الفكرية قضى محمد عبده التلقي والتلمذة على يد الأفغاني ونقل أفكاره إلى دائرة أوسع من طلبة العلم في الأزهر، فكانت نهضة الشرق وتجديد حياته وتحرير طاقته غاية اتفق عليها كل من الأفغاني ومحمد عبده ودلك أن الأفغاني كان ثوريا يرى أن الثورة هي الوسيلة الأجدى والأفضل لبلوغ الغاية أما الاستاد الإمام فلقد كان إصلاحيا يرى أن التدرج في الإصلاح هو الطريق الأقوام والأضمن في تحقيق هده الغاية.[4]

---

1 رحاب عكاوي: أعلام الفكر العربي الإمام الشيخ محمد عبده في أخباره وأثاره، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، 2001، ص ص32.33

2 محمد عبده: الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، مصدر سابق، ص.26.

3 عثمان أمين: رائد الفكر المصري محمد عبده، المجلس الأعلى للثقافة، الهيئة العامة لشؤون المطابع، د.ت، ص 42.

4 محمد عبده: الأعمال الكاملة، المصدر السابق، ص 42.

فانطلق تفكير الإمام محمد عبده كما انطلق تفكير الأفغاني من قضية الانحطاط الداخلي والحاجة إلى البعث الذاتي، فكان يشعر كالأفغاني بوجود نوع من الانحطاط الخاص بالمجتمعات الإسلامية.[1]

فكان لقاء السيد جمال الدين أهم حادث في تربية الفتى الناشئ محمد عبده، لأنه رده إلى سجيته وأقامه على جادته العلم والعمل التي استقام عليها بعد دلك طول حياته، واستقل بها حسب استعداده وفطرته حتى استقل بها آخر الأمر عن طريق أستاذه، بعد أن فرقتهما الحوادث اضطرارا وجب أن يعمل كل منهما على جادته ومنهاجه.[2]

فأنشئ المجلس الأعلى للمعارف العمومية وعين الإمام عضوا فيه، فأبعد عن التدريس وعمل بالصحافة والسياسة، فبرز اختلافه عن الأفغاني في وسيلة النهضة وهو عندما يدرس لا يختلف عن الأفغاني لكن عند ما يعمل بالسياسة العليا والمباشرة يبدو الفرق واضحا بينهما...فرق المصلح من الثوري.[3]

فكانت صحبة محمد عبده للأفغاني دائمة وملازمته له بها كالطفل الذي لا يفارق الإنسان، فلا نستطيع أن نميز الأستاذ الإمام في هده المرحلة شخصية متميزة عن شخصية أستاذه في دور التلقي والتلمذة.

سعى الشيخ سعي أستاذه ووقف مواقفه ونقل أفكاره فكان منشئ تارة ومصنعا لأفكار أستاذه تارة أخرى.[4]

---

[1] ألبرت الحوراني: الفكر العربي في عصر النهضة، مرجع سابق، ص 169.

[2] عباس محمود العقاد: عبقري الإصلاح محمد عبده، مرجع سابق، ص48.

[3] عبد الرحمن محمد بدوي: الإمام محمد عبده والقضايا الإسلامية، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت، ص 19.

[4] محمد عبده: الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، مصدر سابق، ص39 .

المبحث الثالث: أصول الإصلاح في فكر محمد عبده

لقد كان هناك موجات في الإصلاح:

الموجة الأولى: وهي الموجة التي ظهرت بين منتصف القرن الثامن عشر ومنتصف القرن التاسع عشر وتمثلت في دعوة محمد عبد الوهاب (1703 – 1791) الذي ظهر في نجد ومحمد بن نوح الفلاني (1752 – 1803) الذي ظهر في المدينة المنورة ومحمد بن علي السنوسي في المغرب ثم محمد بن أحمد المهدي في السودان (1843 – 1885) ومن الشائع أن نجد عددا كهذا من المصلحين يظهرون في قنوات متقاربة في بلاد متعددة من بلاد المسلمين، نعتبر أنفسنا أمام موجة إصلاحية تقتفي عنها البيئة الإسلامية في كل هده الأصقاع، وكان جهاد هؤلاء المصلحين فكري وحركي وسياسي.

الموجة الثانية: وهي الموجة التي ظهرت واستقرت في نصف القرن بين الربع الأخير من القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين في هده المرحلة تم استيلاء الغرب على بلادنا العربية الإسلامية.[1]

وعرفت هده المرحلة رجالا عقدت لهم أعمالهم الفكرية وجهودهم العملية لواء القيادة لمسيرة النهضة والبعث والأحياء التي بدأتها شعوب الشرق في القرن التاسع عشر فكانت نقطة البدء الأولى والحقيقية العملاقة في دلك التجديد الذي ميز حياتنا الحديثة والمعاصرة عن تلك التي عاشها الشرق.

وأول هؤلاء الرجال هو رفاعة رافع الطهطاوي (1216-1290//1801-1873م) الدي كان نافدة الشرق على الغرب جدد الصلات الفكرية بينهما ولم يقف أمام حضارة الغرب العملاقة موقف المأخوذ الناقل المقلد، ويمزج مختاراته بتراث الشرق وواقعه، فسلط الأضواء على الديمقراطية البرجوازية والدستور والمؤسسات النيابية وأبرز دور الجماهير في الثورة على الملوك المستبدين.[2]

وثاني هؤلاء الرجال العظام هو جمال الدين الأفغاني (1254-1314//1838-1897) كان شعلة دكاء وقوة هائلة متحركة لا يمسها ماس إلا شحن من كهربائه على قدر استعداده، دائم التفكير دائم القول

[1] طارق البشري: الملامح العامة للفكر السياسي الإسلامي في التاريخ المعاصر، ط1، دار الشروق، مصر، 1996، ص52.

[2] محمد عبده: الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، المصدر السابق، ص13.

لمن يفهم ومن لا يفهم دائم النقد دافع للحركة والثورة والهيجان في المطالبة بالحقوق وقد حدد غرضه في الحياة ووهب نفسه للوصول إليه، وهو إنهاض الدول الإسلامية من ضعفها وتبصر شعوبها بحقوقها ورفع نير الأجنبي عنها.[1]

يعتبر البعض إن فكر الأفغاني كان يصل إلى السياسة وإصلاح الحكومة أكثر من التربية حتى إن لبس ثوب المصلح الديني والغاية من دلك أنه كان يعتقد أن إصلاح الحكومة والسياسة يؤدي حتما إلى إصلاح الشعب لأن صلاح الرعية من صلاح الراعي ومع دلك فإن جهوده في الإصلاح والنهضة كانت واضحة المعالم وتأثيرها كان فعالا لإزاحة جمود الفكر العربي، لأن الأفغاني من أنصار التقدم وأحد الأعلام اللذين حملوا مشاعل الحرية والثورة في مختلف الميادين والمجالات والدين تمثل حياتهم ونضالا تهم نماذج رائعة أمام جيلنا الحاضر، وخير زاد ثوري وفكري لهده الأمة التي نعيد اليوم وصل ما انقطع من ماضيها وصنع البناء الحضاري الجدير بماضيها الحضاري وتقديم قسطها في البناء الحضاري العام لبني الإنسان.[2]

أي إن المشروع النهضوي الذي حمله الأفغاني لم يكن مقتصرا على مستوى التصور الواقعي فحسب وإنما تعداه إلى المستوى الذهني، ونقصد بدلك اهتمامه بيقظة الفكر فمشروع تحقيق النهضة تسبقه اليقظة الفكرية أو التخطيط الواعي لبدأ مشروع نهضوي، فهل من الممكن أن تتم نهضة دون يقظة ؟

فإنه يتوجب البحث أولا عن أسباب التخلف والتأخر ومعالجتها لينطلق من حالة الانحطاط الذي يعاني منه إلى حالة التقدم، كما تلقى معارف جمة بين علوم عربية وعلوم شرعية وعلوم عقلية وفنون رياضية ودرس نظريات الطب والتشريع.

أخذ جميع تلك الفنون عن أستاذة ماهرين وعني والده بتربيته فأبدت العناية به قوة فطرته[3]، عظم أمر الرجل في نفوس الطلاب واستجزلوا فوائد الأخذ عنه وأعجبوا بدينه وأدبه وانطلقت الألسن

---

[1] أحمد أمين: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1965، ص292.

[2] محمد عمارة: جمال الدين الأفغاني موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام، ط2، دار الشروق، القاهرة، 1988، ص12.

[3] محمد عبده: جمال الدين الأفغاني، العروى الوثقى، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، القاهرة، ص 16.

بالثناء عليه وانتشر صوته في الديار المصرية ثم وجه عنايته لحل عقل الأوهام عن قوائم العقول فشق لذلك ألباب واستضاءت بصائر وحصل تلامذته على العمل في الكتابة وإنشاء الفصول الأدبية والحكمية والدينية فاشتغلوا على نظره وبرعوا وتقدم فن الكتابة في مصر بسعيه. وكان السيد جمال الدين كثير التطلع إلى السياسة شديد الميل إلى الحرية قوي الرغبة في انقاد المصريين من الذل.[1]

فوقف على روح الإصلاح الجديد في العالم الإسلامي وقد ضمن ملاحظاته وأفكاره سلسلة من المقالات في كتاب سماه **مستقبل الإسلام، وقد نشر** أرائه العامة في مقالاته السياسية ككتاب الرد على الدهرين ورسالة الإسلام والعلم وافتتاحياته في (**العروى الوثقى**).

وقف الأفغاني بين الشطر الكبير من حياته على الدفاع عن البلدان الإسلامية المهددة بالخطر[2]

يقوم مشروع السيد جمال الدين الأفغاني على عدة ركائز:

1-محاربة الاستعمار:

مواقفه ضد الاستعمار وبالأخص الاستعمار الإنجليزي كانت جريئة وتختزن قدرة هائلة على التحدي وذات طبيعة عدائية، وقد تصدى لنمطين من الاستعمار:

(الغزو والاحتلال المباشر) و (الحماية والانتداب)

فكان موقف السيد جمال الدين الأفغاني من الاستعمار قد اتسم بالعنف وشحن الهمم لمواجهته، فالمسؤولية تتطلب المزيد من المشاريع الناضجة تعمل على تحصين الأمة وتطوير قابليتها ورفع كفاءتها.

[1] محمد عبده: تاريخ الأستاذ الشيخ محمد عبده،ط2، ج2، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير،القاهرة، 2006، ص33.

[2] ألبرت الحوراني: الفكر العربي في عصر النهضة، المرجع السابق، ص140.

2-مناهضة الاستبداد:

مناهضة الاستبداد هي الركيزة الثانية في مشروع السيد جمال الدين الأفغاني الإصلاحي ويعني الاستبداد التفرد في الحكم وإقصاء الشعب عن ممارسة دوره فكان السيد يرفض الاستبداد ويؤكد حق الأمة المشروع في الحكم وإبداء الرأي كما رفض السياسات التي تكرس الاستبداد وتطلق يد السلطان وتصادر الحريات لصالح فرد أو فئة، فكان تأكيد السيد المستمر على ضرورة الالتزام بالشرع والقانون من أجل أن يحفظ حق الأمة ويحد من دائرة الممارسات غير المنضبطة.

3-تنقية الفكر الإسلامي من الشوائب:

لقد سعى السيد جمال الدين إلى فك أغلال العقل وتحريره من سلطة الأوهام وإخراجه من بوتقة العقائد إلى رحاب الحضارة الإسلامية النيرة. وكان يتابع في دلك المنهج القرآني ويستشهد بالآيات ذات الدلالة على مطلوبه.[1]

وقد كان مقصد الأفغاني طيلة حياته هو كيفية إنهاض دولة إسلامية من ضعفها نتيجة الجمود الفكري الذي أصابها لتصبح الخرافات متمكنة فيها وإلحاقها بركاب الأمم، ودلك باستعارة بعض أنماط الحياة التي قد تعود بالنفع على الأمة الإسلامية شريطة الحفاظ على هويتها أي دون أن تذوب في ثقافة الآخر. أي حتى لا يكون هناك اغتراب ثقافي كما نبد التقليد والتعصب الأعمى وإحياء السنن واماتت البدع والخرافات والأخذ بالأحسن في كل شيء من العلم والعمل.

وثالث هؤلاء الرجال العظام هو الإمام الشيخ محمد عبده (1260-1323//1849-1905) قال المرحوم قاسم بك أمين في وصف الأستاذ "**بلغت فيه طيبت النفس إلى درجة تكاد تكون غير محدودة، كان يجدب به الخير كما يجدب المغناطيس الحديد فيندفع إليه ويسعى إلى كل نفع للغير عام أو خاص، كان ملجأ للفقراء واليتامى والمظلومين والمصابين بأي مصيبة**".

عاش الأستاذ الإمام سبعا وخمسين سنة قضى الشطر الأول منها في التعليم ومنتصفها في التعليم وآخرها في إعلاء شان الدين وإصلاح حال المسلمين، ورسالته الإصلاحية لم تشغله عن

[1] ماجد غرباوي: قضايا إسلامية معاصرة إشكاليات التجديد، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، 2000، ص118.

الجهاد القومي فكان في مقدمة الزعماء الدين أيقظوا مصر من سباتها فقال محمد رشيد رضا "**أنه سليم الفطرة، قدسي الروح، كبير النفس وصادق تربية صوفية نقية، زهدته في الشهوات والجاه الدنيوي، وأعدته لوراثة هداية النبوة، فكان زيته في زجاجة نفسه صافيا يكاد يضيء ولو لم تمسه النار**".[1]

أي إن الإمام محمد عبده ساهم بعلمه ووحيه واجتهاده في تحرير العقل العربي من الجمود الذي أصابه لقرون، كما شارك في إيقاظ وعي الأمة نحو التحرر وبعث الوطنية وإحياء الاجتهاد الفقهي لمواكبة التطورات السريعة. [2]

وتعلق الشباب حول الأستاذ الإمام لأنه بروحه الفتية كان أقدر الناس على استنهاض همم الشبيبة لتحقيق المبادئ السامية، وحثهم على بدل الجهد في سبيل الحق والخير والجمال، ولأنه كان بعلمه وإخلاصه وتفانيه أقدر الزعماء على تحرير العقول من زيف الآراء الهدامة وتنقية القلوب من زيغ المعتقدات وبدعها. وقد استطاع الشيخ أن يطبع في نفوس معاصريه أعمق الآثار لأنه وقف من المجتمع موقف الناقد، فأعلن حقوق الفكر ودافع عن كرامة الفرد وأيد مطالب الضمير ورفع لواء الحرية ودعا إلى الاجتهاد وحاول أن يبث في نفوس المسلمين مكارم الأخلاق ومواصلة السعي وإتقان العمل.[3]

[1] محمد عبده، جمال الدين الأفغاني: العروة الوثقى، المصدر السابق 28.

[2] رحاب عكاوي: أعلام الفكر العربي الإمام الشيخ محمد عبده، المرجع السابق، ص14

[3] المرجع نفسه، ص12.

الفصل الثاني

الفصل الثاني: تجليات الإصلاح عند الشيخ الإمام محمد عبده.

المبحث الأول: المظهر السياسي.

أ- موقفه من العلمانية.

ب- موقفه من الاستعمار الانجليزي.

ج- موقفه من الاستبداد العثماني.

د- مناداته بالوطنية.

المبحث الثاني: المظهر الاجتماعي.

أ- التربية والتعليم.

ب- الأسرة والمرأة.

المبحث الثالث: المظهر الديني والمظهر الأخلاقي.

تمهيد

إن الأمة الإسلامية في انحطاط ويجب إصلاحها من الداخل، فكانت أنظار الأمة العربية الإسلامية وأمالها تتعلق بالصحوة الإسلامية كطوق للنجاة من دعاة التغريب وأهل الجمود، فالصحوة الإسلامية بتقدمها وإصلاحها هي السبيل الأفضل لمجابهة التحديات التي تفرضها الحضارة الغربية على استقلالنا الحضاري.

وإن محمد عبده أعظم العقول الإسلامية التي وهبت جل طاقاتها لتجديد الفكر الإسلامي من خلال مشروعه الإصلاحي والحضاري الذي يهز المجتمع والأمة العربية الإسلامية من الأعماق. ودلك سياسيا واجتماعيا ودينيا وكذلك أخلاقيا.

كانت الحكومة في مصر على نوع تخالف به جميع المكونات الشرقية وكانت البلاد موزعة بين أمراء كل منهم يستغل قسما منها ويتصرف فيه كما يهوى، وكان كل منهم يطلب من القوة ما يسمح له بمد يده إلى ما في يد الآخر، أو يدفع به صولته فالخصام كان دأبهم والحرب كانت أهم عملهم لدلك كان كل منهم يستذكر من المماليك ما استطاع ليعد منهم جنده[1].

وكانت تعوزهم مؤونتهم إذ أكثروا فاضطروا إلى اتخاذ أعوان من أهالي البلاد فوجدوا من العرب أحزابا كما وجدوا منهم خصوما ثم رجعوا إلى سكان القرى فوجدوا فيه ما يحتارون فاتخذوا بيوتا منها أنصارا لهم عند الحاجة وعرفوا هؤلاء حاجة الأمراء إليهم فارتفعوا في أعينهم وصار لهم من الأمر مثل مالهم ما يقرب من دلك. فقال محمد عبده" **أين البيوت التي أقيمت في عهده على قواعد التربية الحسنة**" أين البيوت المصرية التي كانت لهم القدم السابقة في إدارة حكومة أن سياستها أو سياسة جندها مع كثرة ما كان في مصر من البيوت الرفيعة العماد (**الثابتة الأوتاد**)[2].

فشهدت مصر فترة استعمارية كان الاستعمار قوي دكي لئيم دا دهاء ومكر شديد درس أحوال البلاد عن كثب ومكن لنفسه على أيدي بعض الحكام وكونوا منهم طبقة المستوزرين ومهد لتضامن الحكم إليه عن طريق الاستعمار الفكري والمادي، فكان نظام الحكم ظالما الذي فرض على شعبه وضع دستور يحد من سلطة الحكومة المصرية ومن سيادتها ويعامل بقوانين تختلف عن القانون الذي يسري على المواطنين.[3]

إن أهم ما ميز الفترة التي سبقت محمد عبده هو سيطرة الإنجليز على مصر فقبل شهور من ولادة الأفغاني كان الإنجليز قد اتخذ لنفسه أول قاعدة ارتكاز في العالم العربي جعل منها بابا لزحفه ومنفذا لنفوذه. وفي سنة 1841 تمكن الانجليز بمصاحبة الأعلام العثمانية والرايات السلطانية من النزول بالشام وإيقاع الهزيمة بالجيش المصري الذي كان يقوده إبراهيم باشا (1789-1848).[4]

---

[1] عباس محمود العقاد: عبقري الإصلاح محمد عبده، المرجع السابق، ص20.

[2] المرجع نفسه، ص21.

[3] محمد عبده: مادا عن انتمائي للدعوة؟،ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، مصر 2004، ص16.

[4] محمد عمارة: جمال الدين الأفغاني موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام، المرجع السابق، ص 100.

فحركتنا الفكرية من خلفها أمتنا العربية الإسلامية قد تجاذبها واجتهد في استقطابها منذ مطلع الغزوة الاستعمارية الحديثة تياران رئيسيان.

تيار التغريب: يتضمن التعديل والتصوير في مجمل الأفكار الإسلامية أو الاجتهادات التي ترد على الفكر الإسلامي متصفة بما يلي: إنها تقوم مستندة إلى أصول الفكر الإسلامي ومصادره الرئيسية وهي القرآن والسنة، إنها تستجيب للتحديات السياسية والاجتماعية التي تطردها ظروف الواقع المعيشي على الجماعة المسلمة في مرحلة تاريخية محددة، كما دعي إلى التجديد في فقه المعاملات تجديدا يتمشى ويتواكب مع ماجد في البلاد من علوم وصنائع.[1]

التيار التجديدي: هو أحد التيارات الفكرية الذي حاول تشخيص أزمة التخلف العربية الإسلامية، وجاء كرد فعل على اللذين يقولون بأن أسباب التخلف كامنة في الدين ومن رواده نجد: رفاعة رافع الطهطاوي، جمال الدين الأفغاني، محمد عبده.

ومن مبادئ هدا التيار:

- رفض التغريب والجمود كليهما.
- الانطلاق إلى تجديد الدنيا بواسطة تجديد الدين.
- السعي لتأسيس النهضة الحديثة على قواعد التمدن الإسلامي.
- التفاعل مع الحضارات الأخرى، وفي مقدمتها الحضارة الغربية على النحو الذي يجعل هدا التفاعل عامل قوة لذاتيتنا الحضارية المتميزة وليس عامل مسح ونسخ وسحق وتشويه.[2]

فقال الأستاذ سليمان عطية "**كان الشيخ محمد عبده أطهر المصلحين في هدا القرن ممن جمعوا بين الماضي والحاضر وكانت ميزتهم على رجال المدرسة الحديثة أنهم يجمعون بين الثقافة القديمة والحديثة فينادون بإصلاح القديم على بصيرة ويجعلونه أساسا لما يراد إضافته**

[1] موسى بوبكر: إشكالية التوفيق بين الأصالة والمعاصرة في فلسفة محمد عبده، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير، إشراف محمد بلعزوقي، بوزريعة، 2004.2005، ص 41.

[2] محمد عبده: الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، ج1، مصدر سابق، ص11.

إليه من الإصلاح الحديث حتى لا تنقطع صلتنا بماضينا ولا تكون بالاقتصار على تقليد أوربا ذيلا من ذيولها"

دعا إلى ضرورة التغيير وربط التغيير بمبادئ الإسلام ودلك بإثبات أن التغيير الحاصل ليس مما يجيزه الإسلام يمكن أن يشكل في الوقت نفسه المبدأ الصالح للتغيير والرقابة السليمة عليه.[1]

ولقد قاوم محمد عبده روح التقليد والجمود وبدأ يناهضها مند كان يطلب العلم ثم ظل يقاومها طوال حياته، فنراه يقول **"لقد ارتفع صوتي تحرير الفكر من قيد التقليد وقد بهر الإسلام بأن الإنسان لم يخلق لبقاء بالزمام ولكنه فطر على أن يهتدي بالعلم والأعلام، أعلام الكون ودلائل الحوادث وإنما المعلمون منبهون ومرشدون وإلى طريق البحث هادون".**[2]

فيقول الإمام محمد عبده **"ارتفع صوتي بالدعوة لأمرين عظيمين: الأول منها تحرير الفكر من التقليد وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلافة والرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعه الأولى واعتباره من ضمن موازين العقل البشري التي وضعها الله لترد من شططه.**[3]

أسس النظام السياسي الإسلامي عند محمد عبده:

تناول محمد عبده في هدا المجال عدة أمور تتمثل في الأسس التالية:

1-الحرية: تعتبر قضية الحرية من أهم القضايا التي شغلت أدباء النهضة ومفكريها وقد يكون مفهومها من أغنى المفاهيم الأساسية الفلسفية، وأكثرها غموضا وإثارة لاهتمام خصومها بعد أن تسربت أفكارها ومبادئ اجتماعية وإنسانية في كيان المجتمعات العثمانية العربي مما أدى إلى التعرف

[1] ألبرت الحوراني: الفكر العربي في عصر النهضة 1798-1939، المرجع السابق، ص 173.

[2] محمد طهطاوي: مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص24.

[3] محمد عبده: الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، مصدر سابق، ص132.

عن أنواع الحريات. اعتنت بالشؤون الذاتية والشخصية والمدنية استأثرت بتقدم الإنسان وتطوره السياسي اهتمت بتأمين قوانين تصرف حقوق العامة[1].

فالحرية تعني استقلال الإنسان في التفكير وفي الإدارة وفي الفعل شرط بقاءه ضمن حدود قوانين واحترامه للمبادئ الخلقية، وعدم خضوعه خارج هده الحدود لإرادة سواه في أساس التقدم البشري لكن حرية المرأة هي بدورها أساس جميع الحريات الأخرى ومعيارها وعندما تكون المرأة حرة يكون المواطن حرا"[2]

ويرى عكاوي أنها أساس الوطن، فلا وطن إلا مع الحرية، بل هما سببان، فالحرية إنما هي حق القيام بالواجب المعلوم فإن لم توجد فلا وطن لعدم الحقوق والواجبات السياسية وان وجدت فلا بد معها من الواجب والحق، وهما شعار الأوطان التي تعتدي بالأموال والأبدان وتقدم على الأهل والخلان.[3]

وفي علاقتها بالديمقراطية فالحرية هي متأصلة في كل إنسان وفي كل حضارة وهي قيمة، أما لديمقراطية مذهب في تنظيم الشأن السياسي ومن بين مذاهب أخرى عديدة وليس كل شخص يطلب الحرية فهو ديمقراطي، وليس كل من يطلب العدل اشتراكيا ولا من يطلب النشاط المربح رأسماليا...الخ.[4]

وعرفها منذر المعاليقي بقوله "تلك الملكة الخاصة التي تميز الكائن الناطق من حيث هو موجود عاقل يصدر في أفعاله عن إرادته هو لا عن إرادة أخرى غريبة عنه، أو هي قدرة الإنسان على فعل الشيء الذي يختاره عن روية ودراية دون أي ضغط أو سبب خارجي.

توجد للحرية نوعين التنفيذ وهي المقدرة الذاتية الكاملة على فعل الشيء أو الامتناع عنه، وحرية التصميم وهي عبارة عن ملكة الاختيار ذات الدوافع العقلية كالأعراف الاجتماعية والبواعث

---

[1] منذر المعاليقي: معالم الفكر العربي في عصر النهضة، دار اقرأ، 1986، ص 195.

[2] ألبرت الحوراني: الفكر العربي في عصر النهضة، مرجع سابق ص205.

[3] رحاب عكاوي: أعلام الفكر العربي الإمام الشيخ محمد عبده، مرجع سابق، ص122.

[4] محمد الحداد: حفريات تأويلية في الخطاب الإصلاحي العربي، ط1، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 2002، ص 71.

الوجدانية، كالأهواء والنزاعات الخاصة التي توجب فعل الشيء أو الامتناع عنه وهي ليست شيء ملموس.[1]

أما عن موقف محمد عبده من الحرية فقد أكد على حرية الإرادة الإنسانية ودل عليها بأن العقل والوجدان والاجماع يثبتون هدا وأكد على اضفاء التزام أخلاقي على الحرية من ناحية أخرى رأى بأن حرية الإنسان ليست مطلقة ويتضح هدا من كتاباته عن الغاية من هده الحرية، فالحرية بالنسبة للفرد مرتبطة بحرية المجموع وحرية الفرد من خلال واجباته أو الوظائف يؤديها للمجتمع، وقد أضفى هدا الطابع الأخلاقي على الحرية بما يجد من إطلاقها.[2]

2-الشورى: وهي إحدى الدعائم التي تقوم عليها الدولة الإسلامية وقد تناولها محمد عبده بالتحليل وبلور عدة أفكار جديدة في هدا المجال موضحا أن الشورى ضد الاستبداد وأنها تعبير عن الحرية السياسية وهي تتطلب وجود ذهنية سياسية تقوم بها.

كما أوضح بأن الشورى ليس لها تطبيق محدود ويوضح مناخ المشاركة بين الحاكم والمحكوم وعليه فقد رآها مرتبطة بالإطار الديمقراطي وكان يؤكد على حتمية الإرادة الشعبية عامة.[3]

ولقد استقطب عبده هدا النظام من الدولة الإسلامية فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يطلق الشورى في الأمور المدنية والسياسية في كل أمر لم ينزل به الوحي ليعلم الحكام من بعده أن لا يستقيم أمر المسلمين إلا بالشورى.

والخليفة عمر بن الخطاب كان له نوعان من الشورى أحدهما شورى خاصة مؤلفة من كبار العلماء والصحابة والثانية عامة حيث يكون التقرير فيها لأمر خطير في شأن ولديه قول في هدا المقام: وشاورهم في الأمر العام فهو سياسة الأمة في الحرب والسلم والخوف والأمن وغير دلك من

---

[1] منذر المعاليقي: معالم الفكر العربي في عصر النهضة، مرجع سابق، ص195.

[2] محمد عزيز نظمي سالم: الفكر السياسي والحكم في الإسلام، مؤسسة الشباب الجامعية، الإسكندرية، د.ت، ص 212. 213

[3] المرجع نفسه، ص214.

مصالحهم الدنيوية فقد اعتمد على أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم أساسا" أنتم أعلم بأمور دنياكم" وقوله ما كان من أمر بينكم فإلى وما كان من دنياكم فأنتم أعلم"[1]

ونتيجة حرصه على فلاح الأمة الإسلامية فقد ترأس مجلس الشورى وتقلد هدا المنصب بعد أن تقلب في مناصب عدة في الدولة الإسلامية وبداية من تقلده هدا المنصب بدأ إصلاحه سياسيا فكان قوة فعالة ودما جديدا في جسد هدا المجلس وقد قال عنه زميله عاصم الذي كان معه في المجلس المذكور لقد عين الشيخ عبده سنة 1899 وكان بين أهل الحل والعقد في الحكومة. نفدت كثيرا من الشروحات التي كان المجلس يرى الخير.

الأمة في عدم العمل بها وصرفت النظر أيضا عن كل أوجه التعديل في المشروعات التي كان يرى أن الإصلاح والنفع للأمة في تعديلها فما جاء الأستاذ إلى المجلس ونظر في الأمر نظرة الحكيم البصير وعرف أن ليس هناك ما يدعو إلى هدا الانفراج وإنما هو سوء التفاهم باعد بين المشارب على تقاربها، سعى رحمه الله أن يزيل أسباب هدا الخلاف فكان ما أراد وعرفت الحكومة أن المجلس إنما يطلب ما فيه السعادة للأمة وأن ليس له غرض في مصادمة أراء الحكومة.[2]

أي أن مطالبها مادامت تتفق مع مقصده وعلم المجالس أيضا أن الحكومة لا تقصد إلى شيء وراء ما يقصده بمصلحة البلاد وبهذا التفت حوله القلوب وعرف الكل مكانته من قوة الحجة وسداد الرأي وطهارة النية.

3- القانون: إن أهم ما يلفت النظر في مقالات عبده في المرحلة الأولى من حياته هو جعله مفهوم القانون محورا لتفكيره السياسي، إنما تسعد البلاد ويستقيم حالها إذا ارتفع فيها شأن القانون وعلا قدره واحترامه الحاكمون قبل المحكومين، إن أفضل القوانين وأعظمها فائدة هو أن القانون الصادر عن رأي الأمة العام أعني المؤسس على مبادئ الشورى، وأن الشورى لا تنتج إلا بين من كان لهم

[1] منذر المعاليقي: معالم الفكر العربي في عصر النهضة، مرجع سابق، ص.ص.238-239.

[2] محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده، ج3، مطبوعات المطار، مصر، 1324، ص.ص247، 248.

رأي عام يجمعهم في دائرة واحدة كأن يكونوا جميعا طالبين تعزيز مصالح بلادهم فيطلبونها من وجوهها وأبوابها.[1]

وقد ظهر في مجال القانون المحاكم الحديثة التي تطبق القوانين المستمدة من التشريعات الأوربية كما ظهرت إلى جوارها المحاكم الشرعية التي تطبق التشريعات الإسلامية وقد حذر عبده عن مسألة استيراد القوانين من الخارج ودلك أن البلاد تختلف باختلاف الموقع وتنوع أموال التجارة والزراعة كذلك تختلف الشعوب في العادات والأخلاق والمعتقدات وعلى هدا نجد قانون يلائم مصالح قوم ولا يلائم مصالح غيرهم.

وأن ما ينفع قوما قد يميز آخرين وبنية الدولة عند إصدارها قوانين أنها يجب أن تراعي اختلاف الناس باختلاف أموال وطبيعة أراضيهم ومعتقداتهم وعاداتهم ونجده يقول "**لايسوغ أرباب الشورى، أي المجالس النيابية أو أي جهات لإصدار القوانين أن تجاور غير بلادهم في سن القوانين**".[2]

ومما دعا له عبده ضرورة احترام القانون، وتطبيقه بروح المساواة والعدالة، وحث المصريين حكومة وشعبا على أن يتعاونوا على الخير وعلى أن يتوخوا المنفعة العامة في أعمالهم فقال: إنما تسعد البلاد ويستقيم حالها إذا ارتفع فيها شأن القانون واحترمه الحاكمون قبل المحكومين واستعملوا غاية الدقة في فهم فصوله وحدوده والوقوف على حقيقة مغزاه، وسهروا لتطبيق أعمالهم جزئية وكلية على منطوقه الحقيقي ومفهومه، عند دلك تحيا البلاد حياة حقيقية.[3]

إضافة إلى توضيحه كيفية نشر القوانين وتعميق فهمها بين الأفراد بتشكيل جمعيات في القرى والمدن لتفاهم القوانين واللوائح والمنشورات وإلا ضاعت الحقوق، وبصفة عامة ربط بين التجديد الاجتماعي وصدور الشورى والقانون ورأى وضع حق التشريع في يد سلطة أخرى غير الحاكم أي

[1] محمد حداد: حفريات تأويلية في الخطاب الإصلاحي العربي، مرجع سابق، ص.ص.80-84.

[2] طارق البشري: الملامح العامة للفكر السياسي في التاريخ المعاصر، مرجع سابق، ص16.

[3] عثمان أمين: محمد عبده، مرجع سابق، ص45.

في يد السلطة التشريعية.[1] أي أنه حصل على كسر صورة القوة فأشرق نور الحق على صفحات الوجود فالحق للقانون لا للقوة أي حفظ الحال القائم في الجماعة.

[1] طارق البشري: الملامح العامة للفكر السياسي في التاريخ المعاصر، مرجع سابق، ص18.

المبحث الأول: المظهر السياسي.

أ–موقفه من العلمانية.

كثر الحديث في السنوات الأخيرة عن العلمانية أو دورها في بناء مجتمع الإنسان والتقدم الذي يلبي تطلعات البشر على اختلاف أديانها ومذاهبها وقد أوضح الكثير من أدباء النهضة العربية الحديثة ومفكريها مواقفهم من هده القضية، واعتبروها من أهم موضوعات المجتمع العربي دقة وحساسية.[1]

مفهوم العلمانية وميدانها الأصلي: ليست العلمانية نظرية فلسفية مجردة عن واقع المجتمع وحركة تطوره وتقدمه بل هي موقف فلسفي ومفهوم علمي يتصل بواقع الحياة الاجتماعي والسياسي والاقتصادي وينبع عن جدلية علاقته المترابطة ويقدم لها مشاريع وصيغا إنمائية بغية عملية التغيير المتواصل التي تخدم مصلحة الإنسان، ولقد عرفت لدى مختلف الكتاب بانتسابها إلى كلمة العلم أو العالم.[2]

وهو مفهوم يحمل مفاهيم عدة ولعل أبرزها ما ورد في مناقشات المجلس الفرنسي الدستور 1946 الدي جاء فيه أن العلمانية هي حياء الدولة تجاه الدين واحترام حرية المواطنين الدينية على شرط عدم تعرضها لنظام الدولة ومسها لنصوصه التشريعية أي الدعوة إلى تجنب الطروح الغيبية، وفصل الدين عن الدولة وتسير سلطات البلاد من قبل قيادة زمنية ترفع لواء المبادئ العلمية وتستمد منهج التخطيط في الإدارة والسياسة والاقتصاد، من مبتكرات العلوم الإنسانية والمكتشفات الحديثة التي توصل إليها الجنس البشري عبر مختلف العصور.[3]

---

[1] منذر معاليقي: معالم الفكر العربي في عصر النهضة، مرجع سابق، ص 263.

[2] المرجع نفسه، ص 264.

[3] أحمد كعبوش: الأسس الاجتماعية للإصلاح التربوي عند الإمام محمد عبده، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير، اشراف طيبي مسعود، بوزريعة، المدرسة العليا للأساتذة، 2009، ص54.

ويمكننا أن نربط علمانية الدولة بأمرين هامين هما:

الأول: أن يكون مصدر الشرعية في السلطة السياسية مستمدا من سلطة الشعب أن يفضي الشرعية في عملية انتخابية أو استفتائية وليس من نصوص الكتب الدينية التي تضع شرعيتها بالسلطة الدينية، كما كان يجري في القرون الوسطى من السلطتين الدينية والزمنية في سلطات البلاد.

الثاني: أن يكون التشريع الدستوري والقانوني مستمدا من قوانين الإنسان الوضعية التي لا علاقة لها بالدين والشريعة الإلهية بما فيها قانون الأحوال الشخصية وما يتعلق بشؤون الفرد من زواج وطلاق.[1]

المنطلقات التاريخية لنشأة العلمانية والدعوة إليها: إن المنطلقات التي أفرزت ظهور التيارات العلماني هي ما تسرب من الغرب من أفكار عبر الحملة الفرنسية على مصر وما أثمرته من لقاح فكري وثقافي، طبع طابع المرحلة بشيء من الاحتواء الحضاري، فشقت العلمانية طريقها إلى المثقفين والمجددين الدين أظهروا أن تطبيق أفكار العلمانية هي الحل لأزمة المجتمع والرد العلمي على تخلف العصر ويلاحظ من خلال العلمانية الأوربية أنها مرت بمرحلتين هما:

المرحلة الأولى: كان من أكبر دعاتها توماس هوبز، دافيد هيوم، روسو عرفت بعزل الدين عن التحكم بسلطان البلاد العامة، وبرفع الوصايا الدينية والسعي لتصفية اللاهوت المسيحي وتنقيته من القرون المظلمة وما حملته من عقيدة التثليث والطبيعة الإلهية للمسيح.

المرحلة الثانية: الأكثر تطرفا مثلها فيورباح، ماركس عرفت بالعلمانية الثورية استهدفت نزع الدين من نفوس الناس، والتخلص من تأثيراته الروحية الدنيوية والأخروية لحساب النظام الاشتراكي فالشيوعي حيث تضمحل فيه سلطة الدولة وينمحي أثر الدين من المؤسسات الجديدة.

من هنا نشأة المذهب العلماني في أوربا يعود إلى الصراعات المتنوعة بين الكنيسة وأتباعها من قساوسة وأحبار اتصفوا بالجمود واستبدوا بغطرستهم ومن الفئات الصاعدة والقوى الجديدة التي أبدلت المفاهيم وقلبت الموازين.[2]

---

[1] مندر المعاليقي: معالم الفكر العربي في عصر النهضة، مرجع سابق، ص 265.

[2] المرجع نفسه، ص 267.

موقف عبده من العلمانية

لقد شغلت المصالحة بين الإسلام ومتطلبات العصر دهن الإمام هده المشكلة التي كانت نتائج تفكير المتزمتين من رجال الدين، وخطأ ربطهم بالدين والسياسة والفلسفة والفقه مما عكس تخلف المجتمعات الإسلامية أمام المجتمعات الأوربية ويرى أن بإمكان المسلمين أن يلحقوا بركب التقدم الأوربي إذا ما انطلق الفكر الإسلامي من عقاله بممارسة التفكير العقلي وتبني العلوم الأوربية وهي العلوم التي أسهم فيها المسلمون أنفسهم في الماضي فمن الخير ادن كما رأى بعض معاصريه من عناصر من الحضارة الغربية تنتج للإسلام استعادة مكانته ومن الأسباب التي دفعت بالإمام إلى الانفتاح عن الغرب محاولته تطويع الأفكار والمنجزات الغربية لخدمة الإسلام وإحساسها بالخطر على الشريعة وفي هذا الصدد يقول محمد صبيح " **إن محمد عبده أكثر من عالم وأكبر من فيلسوف تصدى لأروبا ولاعتداءاتها المستمرة على العقيدة الإسلامية فدفعها دفعا لم يسبقه إليه سابقا**"[1]

وقد استنبط عبده هدا الموقف حسب رأيه في معرض رده على فرح أنطوان صاحب مجلة الجامعة العثمانية الذي زعم أن سبب تأخر المسلمين يرجع إلى ربط بين السلطتين الدينية والدنيوية بعكس الحضارة الغربية التي فصلت بين السلطتين.

واصفا الإسلام بالاستبداد والمسيحية مؤكدا على أن الإسلام لم يأخذ بالسلطة الدينية في مجال الحكم فقلب السلطة الدينية والإتيان عليها من أساسها هو أصل من أصول الإسلام وقد هدم الإسلام بناء تلك السلطة ومحا أثرها، ولم يدع لأحد بعد الله ورسوله سلطانا في عقيدة أحد ولا سيطرة على إيمانه وقال عبده: "ليس في الإسلام سلطة دينية سوى سلطة الموعظة الحسنة والدعوة

[1] عطية سليمان بن عودة أبو عادرة: مشكلتنا الوجود والمعرفة في الفكر الإسلامي عند كل من الإمام محمد عبده ومحمد اقبال، دراسة مقارنة، مرجع سابق، ص.ص 182. 183.

إلى الخير والتنفير من الشر وهي السلطة التي خولها الله لأدنى المسلمين، يقرع بها أنف أعلاهم كما خولها لأعلاهم بتناول بها من أدناهم"[1]

ويرى الإمام أن الإسلام كعقيدة وفكر لم يشأن أن تكون له أية سلطة دينية كما هو شأن الكنيسة المسيحية إبان عهود سيطرتها على المجتمع العربي وهو بهذا لم يجعل للمفتي أو القاضي أو شيخ الإسلام أدنى سلطة على العقائد وتقرير الأحكام وكل سلطة لهؤلاء وهي سلطة مدنية قررها الشرع الإسلامي، ولا يسوغ لواحد ادعاءه حق السيطرة على إيمان أحد أو عبادته لربه أو ينازعه في طريق نظره.[2]

وإن السلطة كانت مدينة مدللا على دلك بتجارب واقعية حديث بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم في شكل انتشار ضم أقاليم عديدة وثقافات متنوعة مما أثار الصراع بين الفرق الإسلامية، ولكن هدا الصراع لم يكن محكوما بخلفية تعصبية دينية ولم يؤد إلى حروب دينية فهل سمعت يوما في تاريخ المسلمين بقتال وقع بين السلفيين والأشاعرة مع الاختلاف العظيم بينهما؟ ولا بين هدين الفريقين من أهل السنة سلفيين وأشاعرة؟ نعم قد تكون سمعت بحروب الخوارج كما وقع بين القرامطة وغيرهم ولكن هده الحروب لم يكن مثيرها الخلاف في العقائد وإنما أشعلتها الأراء السياسية في طريقة حكم الأمة وهدا ما أثبته مؤرخو الفلسفة الإسلامية، فلا سلام أقر بثنائية الإنسان على التيار أنه مواطن في عالمين ديني ودنيوي، وبوجوب خضوعه لسلطة الله دون سواء وبدعم التسليم إلا بالحقائق التي يدل العقل على صحتها وعلى هدا النحو حرر الإسلام أتباعه من السلطات السياسية والدينية الأخرى وأقر حقهم بالعيش على الوجه الذي يختارونه في ضوء بصيرتهم، وأقر عبده بأن صحة الأبدان مقدمة على صحة الأديان.[3]

---

1 عطية سليمان بن عودة أبو عادرة: المرجع السابق، ص.ص 184. 185.

2 المرجع نفسه، ص 186.

3 ماجد فخري: تاريخ الفلسفة الإسلامية، تر: كمال البارجي، الجامعة الأمريكية، بيروت، د.ت.ط، ص.ص 470. 471.

ومن أسباب ترسخ هدا الفكر عند عبده هو انطلاقه من اعتبار أن الإسلام ينطوي على بذور الدين العقلي والعلم الاجتماعي والقانون الخلقي وهدا ما يجعله صالحا لأن يكون أساس للحياة الحديثة ولأن يوجد النخبة التي تتولى حراسته وتفسير فتمتع بدلك أساسا لمجتمع مستقر ومتقدم فالمسلمون ما عادوا العلم اليوم ولا العلم عاداهم إلا من يوم انحرافهم عن دينهم وأخذهم في الصد عن علمه، فكلما بعد عنهم علم الدين بعد عنهم علم الدنيا وحرم ثمار العقل.

ولهذا يقول" إن الإسلام لن يقف عثرة في سبيل المدينة أبدا، لكنه يستهدي بها وينفيها من أوضارها، وتكون المدنية من أقوى أنصارها وحتى عرفته وعرفها أهله.[1]

ولمحمد عبده مقوله لخص موقفه من العلمانية حيث يقول :ليس في الإسلام سلطة دينية ...وأصل من أصوله قلبها والإتيان عليها من أساسها...والخلافة هي بالسياسة أشبه بل هي أصل السياسة...والخليفة حاكم مدني من جميع الوجوه..." وقال كذلك: "ولكن الإسلام دين شرع فقد وضع حدودا ورسم حقوقا وليس كل معتقد في ظاهر أمره بحكم يجري عليه في عمله يغلب الهوى وتتحكم الشهوة فيغمط الحق، ويتعدى المعتدي الحد فلا تعمل المحكمة من تشريع الأحكام إلا إذا وجدت قوة لإقامة الحدود وتنفيذ حكم القاضي بالحق وصون نظام الجماعة وتلك القوة لا يجوز أن تكون فوضى في عدد كثير فلا بدأت تكون في واحد وهو السلطان أو الخليفة " وهذا يكون قد رفض كل الدعاوي التي تريد أن تستعلم المسيحية الجمع بين السلطتين الدينية والمدنية.[2]

ب–موقفه من الاستعمار الإنجليزي:

نقف هنا نقطة هامة في حياة الشيخ محمد عبده السياسة تتعلق بموقفه من الاستعمار الانجليزي وتعامله معه.

فهو لم ينسى الاستعمار وأزنا به فكتب بقول: لا عار على أمة قليلة العدد ضعيفة القوة إذا تغلبت عليها أمة أشد منها وقهرتها بقوة السلاح، و إنما العار الذي لا يمحوه الدهر، هو أن تسعى

[1] رضوان زيادة: ايديولوجيا النهضة في الخطاب العربي المعاصر، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 2004، ص35

[2] محمد عبده الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده ج1، مصدر سابق، ص 103.

الأمة أو أحد رجالها، أو طائفة منهم إلى تمكين أبدي العدو من نواصيهم، إما غفلة عن شؤونهم أو رغبة في نفع وقتي[1].

إن العمل على إخراج الانجليز من مصر عمل كبير جدا، ولابد في الوصول إلى الغاية منه من السير في الجهاد على منهاج الحكمة، والدأب على العمل الطويل، ولو لعدة قرون ..." محمد عبده[2]

رحل محمد عبده إلى أستاذه في باريس ولكنهما ما لم ينقطعا عن العالم الإسلامي ومراجع السياسة الفعالة في عواصمها الشهيرة ومنها أن الجماعة أوفدت محمد عبده إلى لندن لإثارة المسألة المصرية بكل تفاصيلها في أثناء قيام المهدي بثورته في السودان.

فكان أعوان الاستعمار يخيفون أبناء مصر من أهداف الثورة المهدي وأنه سيغزو وادي النيل كله و أن الحكومة المصرية لا تصمد في وجهه بغير مساندة بريطانيا فلما تسأل محمد عبده عن خطر هذا الزعيم فأجاب: لا خطر على مصر من حركة المهدي، إنما الخطر على مصر من وجودكم أنتم فيها و أنكم إن غادرتم مصر فالمهدي لن يرغب في الهجوم عليها ولن يكون في هجومه أدنى خطر و هو الآن محبوب من الشعب لأنهم يرون في المخلص له من الاعتداء الأوروبي وسينظمون إليه عند قدومه.

ولا شك أن حديثه هذا أعطى أكله فرجعت كفة الحزب الذي كان يدعو إلى إخلاء السودان وأعدت المعاهدة التي سيقضى عليها الطرفان لتسوية هذه المسألة و أوشكت أن تبرم و توضع موضع التنفيذ لولا ورود الخبر بصوت المهدي و استعداد خلفاؤه للهجوم على مصر فكان هذا الحديث مدويا سنة 1884 م فقال محمد عبده بصراحة" إن توفيق باشاٌ د أساء إلينا أبلغ إساءة لأنه مهد

[1]- إسماعيل إبراهيم: شخصيات صنعت التاريخ في البطولة والفداء والنهضة الفكرية، مرجع سابق. ص 170.

[2]- محمد عبده: الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده. المصدر السابق ص 93.

لدخولكم بلادنا، و رجل مثله انضم إلى أعدائنا في قتالنا لا نشعر إزاءه بأقل احترام... إننا لا نريد قوته وجوههم مصرية وقلوبهم إنجليزية[1].

كان الشيخ محمد عبده في البرلمان الانجليزي يحدث أعضاءه، ويحدث رجال السياسة ورجال الصحافة وهو في ذلك وطني مصري مخلص يطلب الجلاء والوفاء بالوعود ويوضح حقيقة الحال من الثورة العربية ودسائس الأوروبيين فيها وكراهية الشعب للحكم الأجنبي [2]وأنهم يفضلون استبداد الحكم من أهلها على الأجنبي فعندما زار لندن مبعوثا أدلى بحديث إلى صحيفة (البول ميل جازيت) عن احتلال الانجليز لمصر. خاطب فيه الانجليز قائلا:

" إننا نرى لأن انتصاركم للحرية انما هو انتصار لما فيه مصلحتكم، وأن عطفكم علينا كعطف الذئب على الحمل، ولقد قضيتم على عناصر الخير فينا ، لكي تكون لكم من ذلك حجة للبقاء في بلادنا ..... لقد علمنا الانجليز شيئا واحدا : التضامن في مطالبتكم بالجلاء ، إن لنا إليكم رجاء واحدا وهو : أن تغادروا بلادنا حالا إلى غير رجعة .....

ونلخص هذا الموقف الأصيل: فلقد شاهد يوما – وكان يسير مع الشيخ رشيد رضا فلانا مصريا يلتهم عودا من القصب، فيمتص أجزاؤه، فلا يدعها إلا قد جفت تمام الجفاف، فنظر الأستاذ الأمام إلى الشيخ رشيد قائلا: أنظر إلى هذا الرجل كيف يمتص هذا الغضب.... هكذا يفعل الانجليز في امتصاص ثروة البلاد واستخدام الرجال المغتربين على العمل فيها ... هم يحافظون على الشيخ أو الشخص ما وجد وافيه فائدة لهم .... حتى إذا ما رأوا أنه لم يبق فيه أدنى فائدة ألقوه كما يلقيه هذا الفلاح ما يمصه من ألياف القصب إذا جف ولم يبقى فيه شيء من الحلاوة[3].

فالتقى محمد عبده بوزير الحربية الإنجليزي اللورد هو تنكتون و يدور بين الاثنين حيث يتناول في هو تنكتون أهل مصر بما يقلل من شانهم و يطعن في أهليتهم و استحقاقهم للاستقلال و الحرية

[1] رحاب عكاوي: أعلام الفكر العربي الشيخ محمد عبده، المرجع السابق، ص 39.

[2] أحمد أمين: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، المرجع السابق، ص 307.

[3] محمد عبده: الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، ج1، المصدر السابق، ص88.

فكان محمد عبده يغضب من ذلك و يدلل على أهلية مصر الحرية و حقها في دحض القوات الأجنبية فيقول " إن المصر بين قوم عرب وكلهم مسلمون إلا قليلا و فيهم من محبي أوطانهم مثل ما في شعب الانجليزي، فلا يخطر ببال أحد منهم الميل غلى الخضوع لسلطة من يخالفه في الدين و الجنس ..... إن النفرة من ولاية الأجنبي و نبذ الطبع لسلطته هو شعور إنساني ظهرت قوته في اشد الأمم توحشا "[1]

وأن أهمية هذا الموقف الذي اتخذه محمد عبده في تسعينات القرن التاسع عشر الذي كان تنفيذا عمليا لفكره الإصلاحي الذي بذره في التربة المصرية، و إن أهمية هذا الموقف و خطورة هذا الفكر أنه كون مدرسة في السياسة المصرية رأيناها في (حزب الأمة) و (الأحرار الدستوريين) وهي مدرسة قدمت لمصر العديد من الإيجابيات في حقل الفكر و التحرر العقلي و التطور الحضاري[2].

أخرى في كتاب فكره القومي، وعن ملامح لفكر العربي قومي يستحق الاستخلاص و التأمل والدراسة على ضوء عصره و ما صاحبه من ظروف و ملابسات فالرجل لم يكن من أنصار زوال الخلافة (السلطنة العثمانية)، ولكنه كان من أنصار إصلاحها و تجديد شبابها، على أن تقف عند حدود السلطة الروحية التي تلعب دورا في التضامن الإسلامي.

كما تجلى رفضه لحكم الدولة العثمانية في محاولتها العودة إلى الحكم مصر وإلغاء المكاسب التي جعلت مصر على عتبة الاستقلال الذاتي.

وفي ذات الموقف الرافض : < إن الأتراك قد حرفوا فهم الدين فهما حقيقيا و شجعوا على ما يجعل الناس يخضعون للسلطة و ثبطوا عزائم التفكير الحر من رعاياهم ، فأصبحت المعرفة غدرهم الأكبر لأنها تكشف للرعايا سوء سلوك الحكام ، فلا عجب إن حشروا مؤيدهم في صفوف العلماء لترويض المؤمنين على الجهود و الخمول في شؤون الغيمان وعلى الخضوع للسلطة السياسية و بفساد العلماء أخذ كل شيء في الأمة يصيبه الانحلال فقدت اللغة العربية تفاوتها و تفككت الوحدة بفضل

[1] رحاب عكاوي: أعلام الفكر العربي الشيخ محمد عبده، المرجع السابق، ص 59.

[2] محمد عبده: الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، ج1، المصدر السابق، ص96.

المذاهب الدينية بعضها عن بعض كما ساءت التربية وفسدت القصيدة نفسها باحتلال التوازن نبه الفعل و الوحي و إهمال العلوم العقلية.

ج–موقفه من الاستبداد العثماني:

من المواقف الرافضة لمحمد عبده كان موقفه من الاستبداد الذي رفضت بشدة خاصة لدى تسلط السلاطين العثمانيين وقد قال أقصد بالاستبداد " انه يقال على معنيين أحدهما تصرف واحد في الكل على وجه الإطلاق، في الإدارة إن شاء وافق الشرع والقانون وإن شاء خالفهما وثانيهما استقلال الحاكم في تنفيذ القانون المرسوم والمشرع المسنون وهذا بالحقيقة لا يسمى استبدادا على ضرب من التساهل وإنما يسمى في عرف السياسيين توحيد السلطة المنفقة فهو غير مصنوع في الشرع وفي العقل ".

وكان الاستبداد عند محمد عبده ليس بنقيض للحرية بعد ما هو طريق لها ولذلك نادى بكفوه والمستبدل العادل.[1]

لقد كان محمد عبده يحصل على الظلم والاستبداد والاستبعاد ويندد بجميع الانحرافات الاجتماعية والسياسية وإصلاح المحاكم الشرعية، كما أنه كان مقتنعا أشد الاقتناع بأن السياسة ما دخلت شيئا إلا وأفسدته إضافة إلى أن الدولة الإسلامية في فترات سواء كانت تحت الحكم الأجنبي أو العثماني لم يكن لها إلا الحكومات مستبدة ظالمته وهذا ما كون لديه ذلك الرفض الاستبداد في الحكم.[2]

أما موقف الأستاذ من السلطة العثمانية و حق الأتراك في أن تستمر سلطتهم على العرب باسم جامعة الدين وإنه موقف يكشف لنا عن صفحة هذا الموقف الذي أبرزه محمد عبده من الاستبداد بسببه التعسف الكبير الذي شهدته أسرته وأهله الذي كان أشد وقعا في نفوسهم من .....يقينية أبناء هذه القرية ذلك (أبنائهم) بأنهم بفضل منزلتهم الاجتماعية هدفا لأنظار الطبقة الحاكمة المتسلطة فكان مصابهم بالظلم مضاعفا لأنه مصاب في الرزق والكرامة ولهذا كانت ثورة

[1] محمد الحداد: حفريات تأويلية في الخطاب الإصلاحي العربية، ط1. دار الطليعة، بيروت لبنان، 2002، ص 84

[2] رحاب عكاوي: أعلام الفكر العربية، الامام الشيخ محمد عبده في اخباره وآثاره، مرجع سابق. ص.ص 13 – 14.

محمد عبده ثورة من يشعر في قرارة نفسه بأنه أهل للمنازعة مع ذلك الراعي الجائر وليس قصاراه أنه أهل للخضوع أو للسخط في صمت واستسلام [1].

ونحن نعتقد أن موقف الأستاذ الإمام هذا المناهض للأتراك العثمانيين المعارض لسلطانهم على العرب والاستبداد بصفة عامة ولمصر أيضا ظل موقفه القومي الوطني الأصيل وذلك بالرغم من الكلمات التي اضطررته الظروف إلى أن ...بها السلطان العثماني وخلافته ودولته، خصوصا عندما اضطرته ظروف ...أن يعيش في نطاق السلطة العثمانية المباشرة في بيروت[2].

د–مناداته بالوطنية.

لقد نادى عبده في كثير من كتاباته السياسية بالدعوة إلى التمسك بالوطن والداعي إلى الوطنية التي سترسخ عامل القومية لدى الشعوب ككل وقد كتب مقالة عن الحياة السياسية في جريدة الوقائع المصرية.

تعريف الوطن لغة: محل الإنسان مطلقا فهو السكن بمعنى استوطن القوم هده الأرض وتوطنها أي اتخذوها سكنا، وهو عند أهل السياسة مكانك الذي تنسب ويحفظ عيبك فيه، ويعلم حقه عليك وتأمن فيه على نفسك وآلك ومالك.

ومن الأقوال الواردة فيه: لا وطن إلا مع الحرية، وقال لابروير الحكيم الفرنساوي: لا وطن في حالة استبداد" ولكن هناك مصالح خصوصية ومفاخر ذاتية ومناصب رسمية وكان حد الوطن عند القدماء الرومانيين المكان الذي فيه للمرء حقوق وواجبات سياسية"[3]

لقد تعمق المفهوم الوطني في مصر مع وجود الاحتلال الانجليزي ما جاء في كلامه محمد عبده وهو يبث الأمل في نفوس المصريين ويرد على البائسين منهم المثبطين للهم الدين ظنوا أن المصري قد ألف الذل وتعود احتمال الظلم، حتى أصبحت فكرة الوطن دعوة شعبية عامة شعارها مصر

[1] رحاب عكاوي : أعلام الفكر العربي ،الإمام الشيخ محمد عبده في أخباره وأثاره ،مرجع السابق ص 59

[2] محمد عبده: الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده ، ج1 ،مصدر سابق ص114

[3] رحاب عكاوي: أعلام الفكر العربي، المرجع السابق، ص122.

للمصريين، نادى بضرورة الوطن كل مفكري النهضة بعد عبده أمثال علي يوسف قائلا: خدمة الأوطان من أوجب الواجبات، وألزم الفرائض من أضاعها قضت عليه شريعة الطبيعة بالحرمان الأبدي والشقاء الدائم.[1]

وقد كرس مقالاته خاصة ماكتب في الوقائع المصرية لبث مبادئ الوطنية وحقق ذلك في نفوس المصريين مبينا للناس أن في الوطن من موجبات الحب ثلاث أمور: الأول أنه السكن الذي فيه الغداء والوقاء والأهل والولد، والثاني أنه مكان الحقوق والواجبات التي هي دار الحياة السياسية، والثالث أنه موضع النسبة التي يعلو بها الإنسان ويعز ويسقل أو يذل.

وقد شن محمد عبده هجوما على أولئك الدين يزعمون أن مصر لم تبلغ طور الوطنية و لم تولد عن دوي الحقوق والواجبات في مصر، وإلباسهم جميعا لباس الجهالة والذل ولكن أبت الحوادث إلا أن تثبت لنا وجود وطنيا، ورأيا عموميا ولو كره المبطلون على أن منهم فئة لا يزالون يؤلمون أسماعنا بما يكررون من سفاسف القول من مثل أننا تعودنا احتمال الظلم والحيف وألفنا الخدمة والرق فلن يستقيل لنا رأي ولن نهتدي سبيل الحرية كأنم هم لا يعلمون أن أهل الغرب أجمعين تعودوا مثل دلك الحيف إعصارا...[2]

كما أكد عبده في عدة مناسبات خاصة بعد دعوته إلى مصر على ضرورة نضال الشعب وضرورة بلورة هويته الوطنية مرددا أن المصريين خاصة أضافوا إلى الشعور الطبيعي والتقليد الديني محبة وطنية منشؤها التهذيب العمومي. وتنمو بدوره فكرة نمو الحركة القومية العربية والتي طالما حلم بها الإمام محمد عبده ليتعالى مداها في عهد الرئيس جمال عبد الناصر في مصر.

استطاع أن يحقق في فترة 15 سنة، الأمل الكبير الدي كان يتطلع إليه الشيخ محمد عبده وهو الهدف القومي الأكبر.[3]

---

[1] منذر المعاليقي: معالم الفكر العربي في عصر النهضة، مرجع سابق،ص ص 158. 159.

[2] محمد عبده: الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، ج1، مصدر سابق، ص ص 66.67.

[3] المرجع نفسه، ص.ص 189/188.

المبحث الثاني: التربية والتعليم.

"من يريد خير البلاد فلا يسعى إلا في إتقان التربية، وبعد ذلك يأتي له جميع مايطلبه، بدون اتعاب فكر ولا اجتهاد نفس ؟..." محمد عبده.

أمر التربية هو كل شيء...وعليه يبنى كل شيء ...وكل مفقود يفقد ...العام ،وكل موجود يوجد بوجود العام ...وأي اصلاح للشرق والشرقيين لابد وأن يستند إلى الدين حتى يكون سهل القبول ،شديد الرسوخ ،عصيف الجذور في نفوس الناس[1] .

محمد عبده

لقد نهض الأستاذ الإمام مطلع القرن العشرين بمهمة الإصلاح الاجتماعي في مصر فكان أول ما وجه إليه عنايته نقد الأوضاع الفاسدة في المجتمع وراح يهاجم ما خلفته من أثار وخيمة في الأفكار والأخلاق والعادات، إذا اخذ يعيب على علماء المسلمين وطرائقهم العقيمة في التعليم فوجه نقده الإصلاحي وبدأي هاجم هجوما عنيفا ما فشى دين عامة المسلمين وعلمائهم من بدع وخرافات وأوهام وكان من نتائجها تزييف تعاليم الإسلام التي تميزت بالقوة والسماحة والبساطة[2].

الإمام يدعو إلى البدء بالإصلاح التربوي يدل الثورة، يدعو إلى تكوين أمة عارفة غير جاهلة لمصالحها على الرغم من أن الإمام منذ أن التقى بأستاذه الأفغاني كان يتصل من فكره، بدء من التحرر من الجمود الفكري والتقليد الأعمى. إلى التحرر؛ لإعادة السيادة والوحدة للأمة الإسلامية لذلك فالإصلاح الحقيقي هو اصلاح المدرسة فهو يرد البلاد إلى التطور والتطور يكون عن طريق المدرسة[3].

وقد أعرب عن هذا عثمان أمين من خلال ماكتبه رئيس التحرير في الوقائع "محمد عبده" تدل على مبلغ عنايته بالتربية وحرصه على نشر التعليم للتحقيق الإصلاح المنشود فقال دان الغرض

---

[1] محمد عبده: الأعمال الكاملة للشيخ الإمام محمد عبده: ج1.المصدر السابق، ص 106.

[2] رحاب عكاوي: الإمام الشيخ محمد عبده في أخباره وأثاره: المرجع السابق: ص 15

[3]: أحمد كعبوش: الأسس الاجتماعية للإصلاح التربوي عند محمد عبده، مرجع سابق، ص.ص69-70

الحقيقي من تأسيس المدارس والمكاتب والعناية بشأن التعليم فيها إنما هو تربية العقول والنفوس، وقال مرادنا من تربية العقول إخراجها من خير البساطة الصرفة والخلو من المعلومات، وابعادها من التصرفات والاعتقادات الرديئة ،إلى أن يتجله بتصورات ومعلومات صحيحة تحدث لها ملكة التمييز بين الخير والشر والضار والنافع [1].

وقد اعترف بميله الفطري إلى التربية قال: خلقت كي أكون معلما[2].

وقد وسع دائرة اصلاحه العلمي فقال يجب أن يتأتى عن طريق إعداد الدعاة وتربيتهم وتعليمهم، ثم إرسالهم إلى نواحي العالم الإسلامي كلها، لتنوير أذهان الناس وتبصيرهم بأحوال دينهم ودنياهم[3]

وقد جعل عبده سبيله الأساسي لتكوين السلطة: إن أول ما يبدأ به التربية والتعليم لتكوين رجال يقومون بأعمال الحكومة النيابية على بصيرة مؤيدة بالعزيمة، وحمل الحكومة على العدل والإصلاح ومنها تعويد الأهالي على البحث في المصالح العامة وإلزام الشورى والمساواة بين الرعية[4].

وقد أكد عبده باحترام كل طرف من حاكم ومحكوم لواجباته وحقوقه وضرورة التربية لكل طرف منهما فأرجع فساد الأوضاع في المجتمع الذي يعيش فيه إلى فساد تربية الحاكم والمحكوم معا، إذا الأول لم يقم بواجباته تجاه المحكوم والثاني جهل حقوقه على الحاكم[5].

حاول محمد عبده أن يجعل شروطا للحاكم من بينها أن يكون مجتهدا أي أن يكون من العلم باللغة العربية وما معها بحيث يتسر له أن يفهم من الكتاب والسنة وما يحتاج إليه من الأحكام حتى يتمكن بنفسه من التميز بين الحق والباطل والصحيح والفاسد ويسهل عليه اقامة العدل الذي يطالبه به الدين والأمة معا.

---

[1] عثمان أمين: محمد عبده: مرجع سابق. ص64

[2] محمد طهاري: مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، مرجع سابق، ص160

[3] محسن عبد الحميد: جمال الدين الأفغاني المفترى عليه، ط2، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت ،1985، ص22

[4] محمد عبده: الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، ج1، المصدر السابق، ص53

[5] موسى بوبكر، اشكالية التوفيق بين الأصالة والمعاصرة في الفلسفة، محمد عبده، مرجع سابق، ص98

وهو مطاع مادام على المحجة ونهج الكتاب والسنة والمسلمون له بالمرصاد فإذا انحرف عن النهج أقاموه وإذا أعوجوه قوموه بالنصيحة والإعذار إليه فإذا فارق الكتاب والسنة في عمله وجب عليهم أن يستبدلوا به غيره ما لم يكن في استبداله مفسدة تفوق المصلحة فيه[1].

أي إن التربية والتعليم هما سبيل لتنوير الوعي للمجتمع، وتأهيل أفراده للمساهمة في الحياة المتغيرة فبالتربية والتعليم ستجدد حياة الأمة ويعاد تكوينها.

ويعود تفصيل محمد عبده للتربية كطريق لإنهاض المجتمع لإيمانه بأن العمل التربوي لن يضيع سدى بخلاف العمل السياسي الذي لم يبقى من أثره ما ينفع أو يفيد إضافة إلى استعداده وموهبته الشخصية التي فطرت على حب التربية والتعليم لأنه يدرك ما القيمة التربية واهمية في إعداد النشء ولأن كل انسان لا يتم نضجه ولا يستو إلا من خلال تجارب الحياة وصعابها.

لأن التجارب والشدائد تضع... أبطالا لذا ينبغي على الإنسان السعي في طلب العلم والمعرفة والصبر في بحثه عن الحقائق كما قيل ...العبقرية صبر طويل.

الأسرة والمرأة

إن الأمة تتكون من البيوت (العائلات) فصلاحها صلاحها ...ومن لم يكن له بيت لا تكون له أمة ...أما النساء فقد ضرب بينهن وبين العلم بستار لا يدري من يرفع ...فلصبح حشو أذهانهن الخرافات وملاك أحاديثهن الترهات، اللهم إلا قليلا منهن لا يستغرق الدقيقة عدهن ...؟ ...محمد عبده [2]

فهو يتحدث عن أن الأمة تتألف من البيوت (العائلات) وذلك أن عاطفة... وداعية... تكونان على أشدهما وأكملهما في الفطرة بين الوالدين والأولاد بين سائر الأقربين، ومن فسدت فطرته لأخير فيه لأهله.

---

[1]: محمد عبده، الإسلام والنصرانية بين العلم والمدينة، تقديم برهان غليوم، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر (د ط) 1996 ، ص.ص54-55

[2] محمد عبده: الأعمال الكاملة، مصدر سابق، ص169

وإذا كانت الأسرة هي النواة الأولى للمجتمع، إن المرأة هي النواة الأولى للأسرة وعلى هذا إذا صلح حال المرأة صلح حال المجتمع وقد كان محمد عبده من أنصار المرأة، نظر إليها وإلى مشكلاتها من منظور عقلي نظر إليها باعتبارها انسان كاملا لها الحق في الحياة الكريمة فتناول الكثير من القضايا التي تمس المرأة وتمس انسانية هذا الكائن.

أ–حق المرأة في المساواة

أول القضايا التي اهتم بها قضية المساواة بين الرجل والمرأة، تلك المساواة التي أكد عليها القرءان الكريم لقد كرم الإسلام المرأة... في مكانة سامية لقوله تعالى "**يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين " النساء :11**

ب– تعليم المرأة

فإن أولى متطلبات حق المرأة في التعليم فلقد رسم محمد عبده صورة للجهل والخرافة الذي كانت تعيشه المرأة وطالب النساء المستنيرات في المجتمع بدلا من أن يقمن صالونات تستقبل عليه القوم أن يقوموا بتعليم المرأة لأن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة[1].

ولقد نادى عبده منذ وقت مبكر بتعلم المرأة وتمنى أن تنهض هذه القلة من النساء المستنيرات والمتعلمات بتكوين جمعية نسائية تقيم المدارس لتعليم البنات.

د–الطلاق

من اهم القضايا كان لها أثر واضح وخطير على الأسرة قضية الطلاق، وعرض الشيخ لهذه المشكلة ونظر إليها من منظور عقلي وبين أن الطلاق ليس كما قال الفقهاء مجرد التلفظ بهذا اللفظ بل هو في المرتبة الأولى يعتمد على النية، ولقد أعطى الشيخ للمرأة الحق في طلب الطلاق وعدد الحالات التي يصبح فيها حق مجاب لها[2].

---

1 عبد الرحمن محمد بدوي: الإمام محمد عبده والقضايا الإسلامية، المرجع السابق، ص16

2 المرجع نفسه، ص17

وعندما أراد أن يحدد الطريقة المثلى لتلافي فوض الطلاق في المجتمع وكثرته حدد هذه الطريقة في عدد من المواد القانونية المقترحة وهي:

المادة الأولى: لكل زوج يريد أن يطلق زوجته فعليه أن يحضر أمام القاضي الشرعي أو المأذون الذي يقيم في دائرة اختصاصه ويخبره بالشقاق الذي بينه وبين زوجته.

المادة الثانية: يجب على القاضي أو الماذون أن يرشد الزوج إلى ماورد في الكتاب والسنة مما يدل على أن الطلاق ممقوت عند الله، وينصحه ويبين له تبعة الأمر الذي يستدم عليه ويأمره أن يتروى مدة أسبوع[1].

المادة الثالثة: إذا أصر الزوج، بعد مضي أسبوع على نية الطلاق فعلى القاضي أو المأذون أن يبعث حكما من أهل الزوج وحكما من أهل الزوجة او عدلين من الأجانب إن لم يكن لهما أقارب ليصلحا بينهما.

المادة الرابعة: إذا لم ينجح الحكمان فب الإصلاح بين الزوجين فعليها أن يقدما تقرير للقاضي أو المأذون وعند ذلك يأذن القاضي أو المأذون للزوج في الطلاق، لقوله تعالى: "يأيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم "[2]

فشملت برامج الشيخ الإصلاحية موقفا جريئا تجاه المرأة المصرية فطالب بعدم تعدد الزوجات وتصدى لتفسير الآيات والأحاديث الخاصة بذلك بما يؤكد وجهة نظره، كما اعتبر تعدد الزوجات مرض ينبغي علاجه، وأنه يؤدي إلى مزيد من المآسي في المجتمع وأن المصلحة توجب الوقوف أمام هذا الأمر من زاوية أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، والرأي الأكثر جرأة للشيخ هو مواقفه على دخول المرأة في المعترك السياسي[3].

---

[1] محمد عبده الأعمال الكاملة، مصدر سابق، ص184

[2] الطلاق، الآية.1

[3] المصدر السابق، ص185

منحت شريعتنا السمحاء إلى النساء حقوقا لا تنقص عن حقوق الرجل في الزواج، لها الحق مثله في أن نتأكد بنفسها من إمكان تحقيق أمالها وما علينا أن نسمع صوت شريعتنا ونتبع أحكام القرآن الكريم وما صح من سنة النبي صلى الله عليه وسلم وأعمال الصحابة لتتم لها السعادة في الزواج.

فجاء في كتاب الله "ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف" [1]وقوله أيضا تعالى: "وعاشروهن بالمعروف "[2].

وهنا نستطيع أن نلتقي بعدد من الأفكار الهامة والمحددة:

أ) ايمانه بالتكافل بين الأمة، وضرورة الجماعية لحياة الإنسان.

ب)اعتباره أن الظلم الاقتصادي هو أشد أنواع الظلم الذي يقع على الإنسان من أخيه الإنسان.

ت)تنبيه إلى المخاطر التي تحدق بالمجتمعات من جراء تحكم سلطان رأس المال فيها[3].

هنا يتبين ان موقف الإمام رفضه للفلسفة الفردية المخرقة في فرديتها وينحاز إلى نوع من الجماعية يرى به المجتمع واحدا شديد الترابط والتأثير.

فهو يعتبر أن طلب النفع الخاص لا يجب أن يكون على حساب النفع العام بل يجب أن يكون من طريق تحقيق النفع العام.

أي أنه يؤمن بضرورة تكافل الأمة وتبيين لنا موقفه شديد الحسد ضد الظلم الاجتماعي الناشئ عن المظالم الاقتصادية والمالية التي يوقعها الإنسان بأخيه الإنسان.

*هذا الفكر لا نقول عنه فكرا اشتراكيا انما نضعه في مكان بارز من الفكر الإنساني الطامح إلى لون من العدالة الاجتماعية يتناسب مع فهم الرجل لظروف عصره والأحكام الكلية التي جاء بها الإسلام وفي ظل هذا الانتصار للموقف الجماعي نقرأ الحديث الذي يرويه الطبراني عن أبي موسى يقول: أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول :(لن تؤمنوا حتى تراحموا)[4].

---

[1] البقرة :الآية ،227

[2] النساء ، الآية ،19

[3] محمد عبده الأعمال الكاملة ن مصدر سابق ،ص 138

[4] عثمان أمين : رائد الفكر المصري محمد عبده ،المرجع السابق ،ص244

المبحث الثالث: الإصلاح الديني والأخلاقي

"يجب تحرير الفكر من قيد التقليد وفهم الدين على طريقة السلف هذه الأمة قبل ظهور الخلاف والرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى ...والنظر إلى العقل باعتباره قوة أفضل القوى الإنسانية بل هي أفضلها على الحقيقة..."

قد حدد محمد عبده هدفه من الإصلاح الديني عندما قال عنه: "انه يعني صديقا للعلم باحثا للبحث في اسرار الكون، داعيا إلى احترام الحقائق الثابتة[1].

وعلى هذا الأساس لايوجد في الإسلام إكرام في الدين ولاتوجد امتيازات باسم الدين وفي هذا يقول عبده (ليس في الإسلام سلطة دينية سوى سلطة الموعظة الحسنة والدعوة غلى الخير نوالتنفير من الشر، وهي سلطة خولها الله لدنى المسلمين يقرع بها أنف اعلامهم،كما خولها لأعلامهم يتناول بها من أدناهم)[2]

وقال أيضا: إن الإسلام قلب السلطة الدينية وأتى عليها من أسامها وهدم أثرها ولم يدع الإسلام لأحد بعد الله ورسوله سلطانا على عقيدة أحد أو إيمانه... فليس في الإسلام ما يسمى بالسلطة الدينية)[3].

وبرأي بأن أي سلطة تناولها الحكام في سلطة مدنية قررها الشرع الإسلامي ولا يسوغ لواحد أن يدعي حق السيطرة على إيمان أحد أو عبادته لربه أو ينازعه في طريق نظره.

فأما في اصلاحه الديني فاتجه فيه إلى اصلاح الأزهر وكان رأيه أنه إذا أصلح خدم العالم الإسلامي أكبر خدمة، لأنه سيخرج قوما غبرا على الدين متنورين يثبتون في جميع أنحاء العالم الإسلامي[4].

---

[1] محمد عبده، الأعمال الكاملة ، مصدر سابق ،ص184

[2] عطية سليمان عودة أبو عدارة: مشكلة الوجود في الفكر الإسلامي الحديث عند كل .....محمد عبده ومحمد إقبال ، دراسة مقارنة ،مرجع سابق،ص184

[3] موسى بوبكر: اشكالية التوفيق بين الأصالة والمعاصرة، مرجع سابق، ص95

[4] رحاب عكاوي: الإمام الشيخ محمد عبده في أخباره وأثاره، المرجع السابق، ص112

فتوفرت ظروف وعوامل عديدة لتحصر جهود الشيخ التطبيقية في اصلاح الأزهر ومن هذه الظروف نشأته الأزهرية لمسه خلالها من عقم طريقة التعليم بالأزهر التي ضاق بها وعدم كفاية وسلامة العلوم التي كانت تدرس فيها.

فأسهمت سياسة الإحتلال التعليمية حيث اقتصدوا نفقات التعليم تحت ستار إصلاح اقتصاد البلاد ،وكذلك وتفهم تأسيس المدارس الإبتدائية ،واغلاق المدارس الخاصة .والغاء مجانية التعليم أدى كل هذا إلى أن يركز الشيخ إلى اصلاح الأزهر بإعتباره الباب الأخير الذي ظل مفقودا أمام السواد الأعظم أمام المصريين[1].

فدار صراع قوي خفي في أوائل النصف الأخير من القرن التاسع عشر بين أنصار الجمود والتقليد من المحافظين على النهج القديم ،بين شيخ عصري ....وشيخ من المشهورين بالتعصب للقديم وبين طلاب الإصلاح المجددين ؛فكانت تخشى الحكومة أن تتعرض لمناهج الأزهر في زمن كثر فيه الحديث عن سياستها الأجنبية[2] .

فالشيخ محمد عبده جاء في اصلاح الأزهر والنهوض بالجمعية الخيرية الإسلامية لنشر التعليم واعانة المنكوبين فهو رسول السلام بين مجلس الشورى والحكومة وداعي للمصالحة فيما تعقد من الأمور فهو موضع ثقة المجلس فسيبشرونه في الكثير من الأمور فيشير بما يعتقده الحق، فهو ينير الخاصة بما ينشر من أفكاره في الدين والإصلاح الاجتماعي والأخلاقي على مذهبه[3] .

أما الدور الأكبر في الإصلاح فكان في مناهج التعليم في الأزهر فقسم العلوم التي تدرس إلى قسمين: علوم المقاصد وعلوم الوسائل. فعلوم المقاصد هي التوحيد والتفسير والحديث والفقه والأخلاق، أما علوم الوسائل فهي المنطق والنحو والبلاغة ومصطلح الحديث والجبر.

---

[1] زكريا سليمان بيومي: التيارات السياسية والاجتماعية بين المجددين والمحافظين، المرجع السابق، ص102

[2] رحاب عكاوي: المرجع نفسه، ص98

[3] أحمد أمين: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، المرجع السابق، ص321

فقام بإدخال دروس ومحاضرات جديدة في علوم التاريخ والتاريخ الطبيعي والرياضيات والجغرافيا والفلسفة والاجتماع وغيرها[1].

وتنظم دعوة الشيخ إلى الإصلاح الديني امورا ثلاثة:

*تحرير الفكر من قيد التقليد، حتى لا يخضع العقل لسلطان غير سلطان البرهان ولا يتحكم فيه زعماء الدنيا ولا زعماء الأديان.

*اعتبار الدين صديقا للعلم لا موضع لتصادمها، إذا لكل منهما وظيفة يؤديها وهما حاجتان من حاجات البشر، ولا تستغني إحداهما عن الأخرى.

*فهم الدين على طريقة السلف قبل ظهور الخلاف، والرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى.

لهذا توجهت عزيمة الشيخ في اخريات حياته إلى العناية بتفسير القرآن عناية كانت تكاد تستغرق كل مجهوده للإصلاح الديني[2].

والواقع أن هذا المفكر كان أخلاقي بطبعه ونظرته، ميالا إلى العمل ميله إلى النظر، يريد دائما أن يتصل بالناس وأن يخاطب الضمائر وأن يؤثر في النفوس أثرا مباشرا إذن فكانت جهود محمد عبده موجهة إلى العمل الأخلاقي يكافح العادات والتقاليد السيئة وينقد البدع والمعتقدات الفاسدة ويحمل على الظلم والاستبداد ويندد بجميع الانحرافات الاجتماعية والسياسية.

ويبذل السعي الموصول لإصلاح مناهج الأزهري واصلاح المحاكم الشرعية يتصدى لذلك كله بغية الإصلاح الأخلاقي للجماعة الإسلامية عموما وللمجتمع المصري خصوصا[3].

أما حركة الإصلاح الديني التي أصبح اسم محمد عبده عنوانا عليها في العالم الإسلامي فلم تكن في ذهن المصلح إلا وسيلة لتحقيق غاية وهي الإصلاح الأخلاقي بمعناه الدقيق، ويمكن أن يقال إن

[1] عثمان أمين: رائد الفكر المصري، المرجع السابق نص192

[2] جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، العروى الوثقى، المصدر السابق، ص28

[3] عثمان أمين: رائد الفكر المصري محمد عبده، المرجع السابق، ص149

الغرض الذي يرمي إليه جميعهم إنما هو تصحيح الاعتقاد وازالة ما طرأ عليه من الخطأ في فهم نصوص الدين.

إذن فالدين في نظر محمد عبده إنما هو أصلح الوسائل وأمثل السبل لتحقيق ذلك الإصلاح الأخلاقي فقد وجب بدء الإصلاح بالدين[1].

فكان من أهم خصائص الأستاذ الإمام غيرته الشديدة على الإسلام والمسلمين فهي محور أعماله ومصدر الأمة واماله قال أحمد أمين في زعماء الإصلاح في أثناء ترجمته للشيخ: حدثني صديق قال: كنت أسير مع الأستاذ وكنا نتلقى معا بعض المحاضرات فجاء ذكر الإسلام والمسلمين. فقال الشيخ: أنى وهبت حياتي لإصلاح العقيدة الإسلامية وتنقيتها مما علق بها من الخرافات والأوهام.

وهو في ذلك اتخذ أهم وسيلة لإصلاح العقيدة تفسير القرآن الكريم، جعله ديدنه يدرسه في بيروت في مسجدين ويفسر جزء عم لتلاميذ مدارس الجمعية الخيرية الإسلامية وينشر دروسه في التفسير في مجلة المنار ليقرأ في العالم الإسلامي وهو في تفسيره يحاول التوفيق بين الإسلام ونظريات المدنية الحديثة يتبع طرقا في التأمل للتوفيق بين الدين ونظريات العلم، والإسلام دين توحيد لا شرك فيه، وهو دين يعتمد على العقل ويستنهضه لإدراك أن العالم له صانع واحد عالم قادر.

والعقل ضروري للدين فهو المرشد اليه، والدين ضروري للعقل لأنه يكمله ويقومه والإسلام يفتح صدره للعلم ويدعو إليه لأن العلم يكشف أسرار الكون، وذلك يفضي إلى معرفة الله واجلاله[2].

موقفه من التقليد

لقد قاوم الشيخ محمد عبده روح التقليد والجمود وبدأ يناهضها منذ كان يطلب العلم ثم ظل يقاومها طوال حياته، فنراه يقول: "لقد ارتفع صوتي لتحرير الفكر من قيد التقليد وقد جهر الإسلام

[1] عثمان أمين : المرجع السابق ،ص150

[2] رحاب عكاوي: المرجع السابق، ص113

بأن الإنسان لم يخلق لبقاء بالزمام ولكنه فطر على أن يهتدي بالعلم والاعلام، أعلام الكون ودلائل الحوادث وانما المعلمون منبهون ومرشدون وإلى طريق البحث هادون[1].

والإمام يرى أنه من أعظم المفاسد التي تفصل بسبب الجمود على اللغة والعجز على الفهم وانشار التقليد لذلك يقول الإمام: فلم يبقى للمتأخر إلا الأخذ بما قال المتقدم قصر المحصلون تحصيلهم على فهم كلام من قبلهم واكتفوا بأخذ حكم الله منه بدون أن يرجعوا إلى دليله، ولو نظروا في الدليل فرأوه غير دال لخصمه بأن كان قد عرض له على فهمه ما يعرض للبشر الذين لم يقرر الدين عصمتهم لخطأ نظرهم فأعموا..."[2]

يقول محمد عبده إن التجديد هو المسالة الأساسية في نهوض الأمم ولكن لا يجب أن نبقى مقلدين في المقلد متخلفا مهما وصل إليه من استيراد لفكر ومنتجات الحضارة الغربية، وحتى لو التفت المقلد إلى الماضي فإنه لن يفيد الكثير لأن العقل الذي لا يحسن الانتقاد والابداع[3].

ورفض التقليد القائم على قبول أراء الآخرين دون المطالبة بإثبات أو دليل وقد كان دائم الإشادة بمبدأ الاجتهاد بمعنى الفكر المتحرر من كل عائق وهو لا يكف عن التبنية إلى أن مغاليق الاجتهاد لاتزال مفتوحة بجميع المسائل التي تثيرها ظروف الحياة المتجددة فإن فكرا يكون مقيدا بالعادات ومستبعدا بالتقاليد فهو فكر ميت وليس له قيمة الفكر انما يكون فكرا له وجود صحيح إذا كان مطلقا مستقلا. يجري في مجراه الطبيعي الذي وضعه الله تعالى، إلى أن يصل إلى غايته[4].

ولقد هاجم محمد عبده نزعة الاقتباس عن أراء الغرب اقتباسا سطحيا ظاهريا عاريا من الفطنة وبعد النظر والتدقيق فقال: "إن أرباب الأفكار الذين ...أن تكون بلادنا وهي كبلاد أوروبية وهي لا ينجحون في مقاصدهم ويضرون البلاد يجعل المشروعات فيها على غير أساس صحيح، فلا يمروا من قريب إلا وقد يطل بمشروع ورجع الأمر إلى أسوأ مما كان.

---

[1] محمد طهاري: مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ةمحمد عبده، مرجع سابق، ص24

[2]: أحمد كعبوش : الأسس الإجتماعية والإصلاح التربوي عند الإمام محمد عبده ،المرجع السابق ،ص71

[3]: المرجع نفسه ،ص128

[4]: رحاب عكاوي: أعلام الفكر العربي محمد عبده في اخباره واثره ، مرجع السابق نص15

ويرى بأن الذين يتخيلون أن تقل أفكار الغرب وعاداته إلى بلادهم سيصل بها بعذر من وجيز إلى درجة المدنية تماثل مدنية الغرب هؤلاء يخطئون خطأ جسيما فهم يبدؤون منها هو في الحقيقة نهاية تطور طويل المدى فهو يخشى حسب قوله لو تمادنيا في هذا التقليد الأعمى واستمر بنا الأخذ بالنهايات الزائدة قبل البدايات الواجبة أن تموت فينا أخلاقنا وعاداتنا وأن يكون انتقالنا عنها على وجه تقليدي والطريق القويم هو التنوير وايقاظ الوعي العام[1].

يقول محمد عبده في هذا الصدد: ليت شعري إذا كان هذا حالنا بالنسبة إلى علوم قد أرضعت ثدي الإسلام وغذيت بلبانه وتربية في حجره، وتقلدت في ايرانه منذ زمن يزيد على ألف سنة ...فما حالنا بالنسبة إلى علوم جديدة مفيدة هي من لوازم حياتنا في هذه الأزمان ...لابد من اكتسابها وبذل المجهود في طلابها؟ ...كنا نؤصل أن المنيح يفيق بشم رائحة النوشادر ...في زمان جرى في سبيل العلوم حتى علم أنحاء الكرة على العلوم ...

وظهر فيه التوازن بينهما وبين أحوالنا المهيمنة وانهزامنا، وغير ذلك من المزايا التي لا تعد ...لكن صمت الأذان وعميت الأبصار ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم[2].

وكان من اسباب محاربة الأمام للتقليد ونعيه على المقلد، والحاجة على وجوب الاجتهاد أن الحياة الإنسانية للمجتمع الإنساني حياة متطورة ويجد فيها من الأحداث والمعاملات اليوم ما لا يعرفه أمس عن هذه الجماعة فالاجتهاد هو الوسيلة المشروعة للملائمة بين أحداث الحياة المتجددة وتعاليم الإسلام فيقول محمد عبده: (أنحن الإسلام على التقليد وصاحب العقل صيحة ازعجت في سباته وهبت به من نومه، علا صوت الإسلام على وساوس الطغاة وجهد بأن الإنسان لم يخلق للبقاء بالزمام ولكنه فطر على أن يهتدي بالعلم والإعلام [3]

1: المرجع السابق ص.ص17-18

2: عباس محمود العقاد: محمد عبده، المرجع السابق، ص13

3: عطية سليمان أبو عذارة، مشكلة الوجود والمعرفة في الفكر الاسلامي الحديث عن كل من محمد عبده ومحمد اقبال، دراسة مقارنة ، المرجع السابق ،ص.ص254-255

والحق لقد علم محمد عبده ان الدين فكل مذهب أخلاقي يقوم بمهمة ليس عنها عناء ومن أجل ذلك كان المربون يعمدون إلى الدين ، لكي يثبتو في نفوس الأطفال مبادىء السلوك القويم ومن أجل ذلك أيضا رأينا الشعوب تنمو فيها فكرة تذهب إلى أن الأخلاق إذا خلت من جزاء الدين كان مصيرها إلى الزوال[1] فإذا استمعت إلى داعيا يدعوا إلى العلم بالدين ، فهذا مقصده أومناديا يحث على التربية الدينية فهذا غرضه ، أو صائحا ينكر ماعليه المسلمون من المفاسد فتلك غايته إذا فالدين في نظر محمد عبده انما هو أصلح الوسائل وأمثل السبل لتحقيق ذلك الإصلاح الأخلاقي .

وهذا الجانب من التربية الأخلاقية في مذهب محمد عبده يفسر لنا ما ظفر به الفيلسوف المصلح من أثر بالغ عميق في مصر والعالم الإسلامي[2].

[1]: عثمان أمين: رائد الفكر المصري محمد عبده، المرجع السابق، ص150

[2]: المرجع نفسه، ص154

الفصل الثالث

الفصل الثالث: دراسة تحليلية نقدية.

المبحث الأول: الأفاق الاصلاحية (الأهداف).

المبحث الثاني: الانتقادات الفكرية: ايجابا // سلبا.

المبحث الثالث: ميراثه الاصلاحي.

- محمد رشيد رضا .
- عبد الحميد ابن باديس
- مالك بن نبي.
- علال الفاسي.

تمهيد

إن الشيخ محمد عبده يعد خالدا بحسه النقدي، باتجاهه التنويري، إن الرجل قد وضع بصماته على مسار الفكر العربي فإن الخلود يكون للشيخ محمد عبده.

كما له العديد من الآراء الايجابية الآراء التي كانت القصد منها نشر النور والضياء، وإذا قلنا بالنور فقد قلنا بالوجود والتواجد وأما إذا قلنا بالظلام فإن هذا يعني العدم والفناء.

فمن واجبنا الاحتفال بالرجل وأفكاره ومن حقنا أن نفتخر به كمصري وعربي نشر النور والضياء وبقد مات الرجل ولكن الخلود يكون لفكره، يكون للقيم الرائعة التي دعانا إليها حتى دخل تاريخنا الفكري المعاصر من أوسع الأبواب وأرحبها.

المبحث الأول: الأفاق الإصلاحية (الأهداف).

لقد ذكر عبده يصح أن يكون مجمع إصلاحه ومجمل رسالته فقال: "ارتفع صوتي بالدعوة لأمرين عظيمين: الأول تحرير الفكر من قيد التقليد وفهم الدين على طريقة سلف الأمة، قبل ظهور الخلاف والرجوع إلى كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى واعتباره ممن موازين العقل البشري التي وضعها الله لترد من شططه، وتقلل من خلطه وخبطه ... وأنه على هذا الوجه يعد صادقا للعلم باعثا على البحث في أسرار الكون، داعيا إلى احترام الحقائق الثابتة، مطالبا بالتعويل عليها في أدب النفس وإصلاح العمل ... والأمر الثاني إصلاح أساليب اللغة العربية في التحرير سواء كان في المخاطبات الرسمية أو في المراسلات بين الناس ... [1].

وكان هدف الشيخ محمد عبده في أعماله وكتاباته سد الثغرة القائمة في المجتمع الإسلامي لتقويته من الناحية الأخلاقية ورأى أن له طريقا وحيدا هو عدم الرجوع إلى الماضي بما فيه من وجمود وبدع وخرافات وينبغي في نظرة ربط التقدم العلمي بمبادئ الإسلام لأنه هو المبدأ الصالح للتغيير[2].

ومن هنا انطلق الشيخ محمد عبده ليبين أن الإسلام ينطوي على بذور عقلية وقوانين أخلاقية تجعله صالحا لأن يكون أساسا للحياة الحديثة، ويحصل على الظلم والاستبداد ويندد بجمع الانحرافات الاجتماعية.

ويبذل السعي المتواصل لإصلاح المناهج التعليمية ومناهج التعليم الأزهري والإصلاح المحاكم الشرعية، يتصدى لذلك كله بغية الإصلاح الأخلاقي للجماعة الإسلامية عموما وللمجتمع المصري خصوصا[3].

وكان يرى أن الإصلاح المسلمين عن طريق الفهم الواعي لدينهم، أسهل وأجدى من إصلاحهم عن طريق الأخذ بأساليب المدنية الأوروبية في رؤيتها الاجتماعية التي لا تتوافق معنا، مع

---

[1]- محمد عبده: الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، ج02، مصدر سابق، ص 318.

[2]- محمد طهاري: مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، مرجع سابق، ص 127.

[3]- المرجع نفسه، ص 130.

إعلاء شأن العقل والعلم في حياة المسلم والاستفادة بما وصلت إليه الثقافة والحضارة والعلم من ابتكار وتجديد وإصلاح[1].

في الجانب الديني والفلسفي في منهج الإصلاح لدى محمد عبده، يرى أن الأصل الوحيد في تحقيق الإصلاح والوسيلة الوحيدة التي يرجى نجاحها هي إحياء العاطفة الدينية في كل قطر إسلامي ويرى أن جهود جميع المنكرين المسلمين تنحصر في هدف واحد هو ثقة المسلم في تقوية شؤونه، ولهذا الهدف كان لشيخه محمد عبده طريقة معينة في فهم الدين الإسلامي وخاصة تفسير القرآن الكريم..."[2]

أما منهجه في تفسير القرآن الكريم فهو يمثل جوهر التعاليم الدينية التي كان يدعو إليها هو جمال الدين الأفغاني وهو تفسير له طابع علمي روحاني.

وكان الشيخ محمد عبده يتألم لجهل المسلمين للعربية ذلك الجهل الذي جعلهم لا يفهمون ما جاء في كتب دينهم، ولهذا جعل أغراضه الأولى إحياء اللغة العربية باعتبارها وسيلة لإصلاح الدين الإسلامي الحنيف"[3].

وإذا نظرنا إلى أراء الشيخ محمد عبده وأعماله الإصلاحية نلاحظ بأن ميزته الأساسية تكمن في اتصال فكره بالجانب العملي... وفي هذا الصدد يقول عثمان أمين: وقد قلنا وكررنا القول بأن قضية الإصلاح الجواني إصلاح العقلية والعقيدة والأخلاق هي الرسالة الأولى التي اضطلع بها الأستاذ الإمام، وأن هذا الجانب من التربية الأخلاقية هو الذي حظي بكل اهتمامه في حياته الخصبة النافعة الهادئة، يكافح العادات السيئة وينقد البدع: يكافح العادات السيئة وينقد البدع والمعتقدات الفاسدة.

ومن هذا التصور نشأت دعوة محمد عبده إلى التجديد على الأسس التالية:

- تطهير الإسلام من البدع والضلالات والعودة له إلى نقائه الأول، حيث هاجم في هذا الصدد المقلد والتقليد والمقلدين.

---

[1]- إسماعيل إبراهيم: شخصيات منعت التاريخ في البطولة والغذاء والنهضة الفكرية، مرجع سابق، ص: 175.

[2]- محمد طهاري: مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، مرجع سابق، ص 128.

[3]- المرجع نفسه، ص.ص128-129.

- إعادة النظر في المذاهب الإسلامية على ضوء الفكر الحديث أو التوفيق بين الدين والعلم، حيث رأى أن الدين باعثا على طلب العلوم، والمعارف وعمد إلى استعمال العلوم الحدية في تفسير القرآن، ودعا إلى ذلك التوافق بين العلم والدين.

- الدفاع عن الإسلام ضد التأثيرات الغربية حيث يقول: "الشريعة الإسلامية شريعة عامة باقية إلى آخر الزمان، ومن لوازم ذلك أنها تطبق على مصالح الخلق في كل زمان ومكان، مهما تغيرات أساليب العمران وشريعة هذا شأنها أنها لا تنحصر جزئيات أحكامها، لأنها تتعلق بأحوال البشر ما وجدوا...كما أنه حاول أن يقيم الإسلام كأفكار وقيم متحررة تتفق كل العصور والأماكن...

- ونرى أن تفتح محمد عبده على الفكر الأوروبي يمنحه تفردا تاريخيا، إذا ما نظرنا إلى مواقف العلماء الدين في تلم المرحلة، حيث كان في محاولة التوفيق بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي، إضافة جديدة للفكر الإسلامي ساهمت في اقتباس بعض الأفكار الهامة في مجال الاجتماع والسياسة والقانون والاقتصاد مع العلم أن علوم الغرب ومعارفه كانت عند الإمام وسيلة للتقدم والتمدن[1].

- هذه الوسيلة التي أراد من خلالها إحياء المجتمع الإسلامي وتطويره دون السماح بالنيل من العقيدة الإسلامية.

فكان محمد عبده أظهر المصلحين في القرن ممن جمعوا بين الماضي والحاضر وكانت ميزته على رجال المدرسة الحديثة أنهم يجمعون بلين الثقافة القديمة والثقافة الحديثة[2].

فينادون بإصلاح القديم عن بصيرة ويجعلونه أساسا لما يراد من إضافته إليه من الإصلاح الحديث حتى لا تنقطع بماضيها، ولا تكون بالاقتصار على أوروبا ذيلا من ذيولها[3].

وأما إصلاحه السياسي فيتجلى بما عرف عنه من غيرة على مصالح الأمة، فعندما عين في مجلس الشورى كان هناك خلافا دائما بين المجلس وبين الحكومة يعود بالضرر على الأمة فسعى الإمام في إزاحته الخلاف منبها إلى أن غرض الفريقين هو مصلحة الوطن وما التباعد إلا سوء التفاهم.

---

[1]- موسى بوبكر: إشكالية التوفيق بين الأصالة والمعاصرة في فلسفة محمد عبده، مرجع سابق، ص 103-104.

[2]- المرجع نفسه، ص 105.

[3]- المرجع نفسه، ص 106.

وهكذا تم للإمام ما أراد، ويدخل في السياسة منهجه في إيقاظ الرأي العام بحقوقه عن طريق الصحافة والتعليم، ومجلس الشورى، ويرى أن هذا الإصلاح يحتاج إلى زمن طويل وأنه تركه لقدر يقدره وليد الله بعد ذلك تدبره[1].

وفي هذه الآراء والمبادئ جميعها ترك الشيخ الإمام عبده مدرسته تستنير بتعاليمه وتعتمد على أفكاره وآرائه، منهم من أخذها عنه شفاها، ومنهم من أخذها عنه بما نشره في كتبه ومقالاته، كما في الأقطار الإسلامية المختلفة.

وكانت مدرسته هذه قوية الأثر واضحة المعالم، وليس أدل على هذا الأثر البعيد من أن أكثر من تصدوا للإصلاح الديني أو الاجتماعي أو السياسي بعد الشيخ كانوا من تلامذته أو أصدقائه الذين تأثروا بمسلكه وتوجيهه.

والذي زاد في شدة أثره أنه لم يكن يدعو إلى الإصلاح نظريا من طريق التصنيف والخطب والمقالات فحسب، كما اعتاد بعض المصلحين، بل كان يحاول دوما أن يقرن إصلاحه بالعمل، فينغمس في الحياة الواقعية العملية ليتمكن من تنفيذ مخططاته الإصلاحية[2].

وفي ختام المطاف نلخص منهج الإمام ومخططه في الإصلاح بأمور ثلاثة كما صرح الإمام بنفسه بذلك.

- إصلاح الدين
- إصلاح اللغة والأدب
- إصلاح السياسة[3]

[1]- محمد عبده: دروس من القرآن الكريم، مصدر سابق، ص.ص 18-19.

[2]- رحاب عكاوي: أعلام الفكر العربي الإمام الشيخ محمد عبده، مرجع سابق، ص 121.

[3]- المصدر السابق، ص.ص 16-17.

المبحث الثاني: الانتقادات الفكرية

أ- إيجـابا:

وقد كان الإحسان إلى المعوزين والضعفاء أول صفة من صفات الأستاذ الإمام فكان محمد عبده يحسن إلى صاحب الحاجة وهو في ضفاه، وكان يحسن إلى أصحاب الحاجة من ذرية أعدائه المفترين عليه. وكان يحسن إلى المنقطعين عن الكسب وهو مريض محتاج إلى ما الله، وكان يحسن إليهم هو في ربض الموت"[1].

كان محمد عبده في نظر معاصريه فيلسوفا حقا، أي حكيما من حكماء الإسلام فهذا "دولفردبلنت" الذي عرف المفكر المصري خيرا مما عرفه أي أوربي آخر، يتحدث عنه فيصفه في أغلب الأحيان بصفة الفيلسوف والوطني الكبير".

كما كتب المستشرق الانجليزي دادوار دباون الذي عرف محمد عبده واستمع إلى دروسه في الأزهر "رأيت كثيرا من البلاد والعباد، وما رأيت مثل الفقيد المرحوم قط، لا في الشرق ولا في الغرب، فو الله كان وحيدا في العلم، وحيدا في التقوى والورع وحيدا في البصيرة والاطلاع على ظواهر الأمور وبواطنها وحيدا في جميل الصبر وخلوص النية وحيدا في البلاغة والفصاحة، عالما محسنا ورعا مجاهدا في سبيل الله، محبا للعلم وملجأ للفقراء والمساكين.[2]

وفي هذا الصدد يقول محمد صبيح: "إن محمد عبده أكثر من عالم وأكبر من فيلسوف تصدى لأوروبا ولاعتداءاتها المستمرة على العقيدة الإسلامية فدفعها دفعا لم يسبق إليه سابق[3]

وقال الزعيم السوري عبد الرحمن الكواكبي، "مصر أخرجت من لا يحص من العلماء دون الفلاسفة الحكماء، ثم أخرجت أخيرا حكيما فاق جميع الحكماء وهو الشيخ محمد عبده وعلى الجملة اتفق معاصرو محمد عبده على وصفه بصفة الفيلسوف المسلم.

---

[1]- عباس محمود العقاد: عبقري الإصلاح والتعليم محمد عبده، مرجع سابقن ص146.

[2]- عثمان أمين: رائد الفكر المصري محمد عبده، مرجع سابق، ص 62.

[3]- عطية سليمان أبو عاذرة: مشكلتا الوجود والمعرفة في الفكر الإسلامي الحديث عند كل من محمد عبده ومحمد إقبال دراسة مقارنة، مرجع سابق ص.ص 11-12.

كما تحدث أحد مؤرخي مصر الحديثة عن محمد عبده فوصفه بأنه "أكبر مصلح وأكبر اجتماعي مصري تملك روح التطور إلى أعلى درجة"[1].

كتب قاسم أمين عن مروءة الأستاذ الإمام بأسلوب القضايا الذي تعود أن تزن كلامه كما يزن أحكامه فقال في رثائه يوم الأربعين.

بلغت فيه طيبة النفس إلى درجة تكاد تكون غير محدودة كان يجذبه الخير كما كان ملجأ الفقراء والمساكين واليتامى والمظلومين والمرفوقين والمصابين، بأي مصيبة كانت وكان الأستاذ يرى أن الشر لا فائدة له مطلقا وأن التسامح والعفو عن كل شيء وعن كل شخص هما أحسن ما يعالج به السوء ويفيد في إصلاح فاعله[2].

محمد عبده شخصية إصلاحية كبيرة، لا يمكن استيعاب جوانبها بعيدا عما أحدثته عميقة في مسار حركة التجديد الإسلامية، سواء كان هذا الأثر في حياة المجتمع المصري أو كان على مستوى الأمة العربية الإسلامية ككل.

إن دراسة مستفيضة للظروف الموضوعية والذاتية التي عايشها الإمام، وتأثر بها تلقي ضوء ساطعا أما دراسة المهتمين به وتفكيره الإصلاحي، لأن الرجل كان نتاجا طبيعيا وانعكاسا للبيئة الاجتماعية والسياسية التي كانت سائدة في ذلك الحين، هذا إذا علمنا أن الإسلام بما هو عقيدة وفكر، استهدف عبر تاريخه الطويل تشريف الإنسان وإسعاده سواء في مبادئه أو عبر مجموعة من الفلاسفة المسلمين الذي كان منهم محمد عبده[3].

ولما ترك جمال الدين مصر قال: مصر أحب بلاد الله إليه، وقد تركت لها الشيخ محمد عبده طوادا من العلم الراسخ وعن مر ما من حكمة والشهم وعلو الهمم.[4]

---

[1]- عثمان أمين: رائد الفكر المصري محمد عبده، مرجع سابق، ص 63.

[2]- عباس محمود العقاد: عبقري الإصلاح والتعليم الإمام محمد عبده، مرجع سابقن ص 79.

[3]- عطية سليمان أبو عاذرة: مشكلتا الوجود والمعرفة في الفكر الإسلامي الحديث عند كل من محمد عبده ومحمد إقبال دراسة مقارنة، مرجع سابق ص.ص 11-12.

[4]- محمد بديع وآخرون: دراسة تاريخية في النهضة العربية الحديثة، ط25، دار إقرأ، بيروت، 1984، ص 61.

وهو الذي وصفه مستشرق أمريكي: قال: كان عبده صلاحا صميما وليد تربة مصر العريقة، قل أن يغدر فقيها، وأما ما للمسلمين، وإننا لنلمح في إخلاصه لبلده وفي دعوته إلى الوطنية مزاجا عجيبا من الوفاء للماضي العجيب، والاستمساك بيقين الدين"[1]

وفي هذا المجال كتب مستر برودلي المحامي المكلف بالدفاع عليه في أثناء المحاكمة قائلا: كان الشيخ محمد عبده أقوى الوطنين المصريين موهبة، وأكثرهم تأثيرا في قرائه وخاصة في الطبقة المهذبة من أبناء وطنه، لأنه كان قادرا وعالما ضليعا وخطيبا فصيحا، يمتلك العقول والألباب، وقد ساعد في جعل الرأي العام حقيقيا إلى الترقي المصري ولم يكن متعبا ولا جامدا ولا مستعزا بآداب الدين، وكان من العلماء المسلمين الذين يكرهون التعصب ويحترمون حرية الرأي واستقلال الفكر ... ولا ريب عندي أخلاق محمد عبده تعبر مثلا حقيقيا للقوة العقلية والتفكير العظيم[2].

وأيضا قال عنه الأفغاني: "بمحمد عبده لمصر عالما"[3].

وقال عنه تلميذه رشيد رضا: أنه سليم الفطرة، قديس الروح كيسر النفس، وصادق، تربية صوفية نقية زهدته في الشهوات والجاه الدنيوي وأعدته لوراثة هداية النبوة، فكان زينة في زجاجة نفس صافيا يكاد يضيء ولم لو تمسه نارا.

لقد كان في مقدمة الزعماء الذين أيقظوا مصر سباتها الذي أسمها إليه الطامعون ولم يدخر جهدا في أداء المهمة الجليلة التي رأى وجوب النهوض بها تحقيقا للوعي القومي وهداية للضمير الإنساني وأمض عصره داعيا للحق جادا في فعل الخير[4].

---

[1]- إسماعيل إبراهيم: شخصيات ضعت البطولة والفداء والنهضة الفكرية، مرجع سابق، ص 165.

[2]- فتيحة قرواني: الإصلاح عند محمد عبده، مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس، إشراف طالب مناد بوزريعة، 2008-2009، ص 28.

[3]- المرجع السابق، ص 165.

[4]- رحاب عكاوي: أعلام الفكر العربي الإمام الشيخ محمد عبده في أخباره وأثاره، مرجع سابق، ص 14.

وقد كان زعيم أفكار كما قال هارود سيندر: كان في سني نقية الطويل، دائم التفكير في عيوب الشرق ورجع من منفاه مملوءا حماسة جديدة، وكان يريد أن يؤثر في نفوس الناس بما هو، أدخل فيها من السياسة فكانت سياسته عبارة عن دعوة إلى الحرب الفكرية.

وكان وطنيا مصريا يفيض وجدانه بقوميته وتتأرجح رغبته في العمل لتحقيق الخير لبلاده ونريد أن تؤثر في المجتمع المصري أثرا فعالا قويا.

وكان فيلسوف ينزع إلى التأمل والرؤية فيما يعرض له من الأمور ويرفض الأحكام المشهورة والآراء التي تفرضها السلطات ولا يأبه بذلك البرهان الثقيل[1].

وقد ورد في خطاب الملك فؤاد: قد كان الشيخ محمد عبده مثالا واضحا للعالم الديني الذي أريده للأمة[2].

وقد قال عنه كرومر: كان رجلا مشيرا الرأي بعيد النظر خياليا، حالما بعض الشيء ولكنه كان وفيا صادقا[3].

ويقول عنه تلميذه الأستاذ المرحوم عبد الباسط فتح الله: لما ظهر من فضله ما ظهر، واشتهر من علمه وعمله ما اشتهر، تسابق الناس لمعرفته، وتنافس العقلاء من أهل العلم والوجاهة والأدب والنباهة في خطب مودته، وسأل الكيسون أن يجعل لهم خطا من الفائدة، فأجاب سؤالهم وخصص ثلاث ليال من الأسبوع أن يفسر لهم آيات من القرآن الكريم في جامع الباشور على مثل منهاجه الأخير في الأزهر، هذا عداء عصريات رمضان من كل سنة.

فتسلل الناس إلى إسماع دروسه من كل حدب، ولم يرض أنبهاء من المسحيين أن يفوقهم ذلك الحظ العظيم، فكان يقف فريق منهم في باب الجامع المصري على مقربة من خلقة الأستاذ

---

[1]- عثمان أمين: محمد عبده، مرجع سابق، ص 136.

[2]- محمد الحداد: حفريات تأويلية في الخطاب الإصلاحي العربي، مرجع سابق، ص 218.

[3]- أحمد أمين: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، مرجع سابق، ص 329.

ولكن ازدحام الخلق في الداخل، وضوضاء السوق في الخارج، كانت تحو دون مشتاهم من الاستماع، فشكوا إليه ضيق صدورهم من ذلك واستأذنوا أن يقفوا لدى الباب من داخل المسجد فأذن لهم[1].

وفي 01 حزيران 1881م ودع برودلي الشيخ وكتب قائلا: ف مساء يوم 01 حزيران ودعت في الظلام محمد اعبده، الذي ذهب أخيرا منفيا عن القطر المصري مدة ثلاث سنوات ... وإذا جاز لمصر أن تسير منفردة وأن يكون لها بداءة خير (ما) يوما من الأيام فإنها لا يسهل عليها الاستغناء عن مثل الشيخ محمد عبده العالم المحرر[2].

وقد قالت الصحف في نعيه: مات مطعونا بأسنة المقاومة الربيعية موت شهيد في سبيل الإصلاح والخير[3].

إن الأستاذ الإمام هو طراز ممتاز من علماء المسلمين أما أطلق عليه عباس محمود العقاد، وكنه عبقري الإصلاح والتعليم، هو مما لا يتنازع عليه اثنان.

وإذا كان شيخنا قد استحق لقب الأستاذ الإمام، فذلك لأنه لم يكن إماما في الأمور الديانة فقط بل كان إماما الدنيا أيضا، وجلي أن الجمع بين الحياة الروحية والحياة الجسدية الدنيوية، على نحو ما قرأ في سيرة هذا المصلح الحكيم هو الجوهر الخالص من تعاليم الدين الإسلامي[4].

أنه فقيد الأمس خير البرايا صاحب الفضل والمقام الممجد

ما ارتضى داره بأرض ولكن في سماء النعيم أضحى محمد[5]

إنه فقيد الأمس من أعظم أبناء مصر في تاريخها الحديث وأصله أعظم على علماء الإسلام وله شهرة وقوة وتأثيرا في شؤون المجتمع الإنساني.

---

[1]- عطية سليمان أبو عاذرة: مشكلتا الوجود والمعرفة الفكر الإسلامي الحديث عند كل من الإمام محمد عبده ومحمد اقبال دراسة مقارنة، مرجع سابق، ص.ص 28-29.

[2]- رحاب عكاوي: أعلام الفكر العربي الإمام الشيخ محمد عبده في أخباره وأثاره، مرجع سابق، ص 50.

[3]- محمد عبده: دروس من القرآن، مصدر سابق، ص 16.

[4]- رحاب عكاوي: أعلام الفكر العربي الإمام الشيخ محمد عبده في أخباره وأثاره، مرجع سابق، ص 150.

[5]- محمد عبده: تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، المصدر سابق، ص 57.

- قال ابن سينا في الإشارات:

العارف هش، بش، بسام، وكيف لا يهش وهو فرحان بالحق، وبكل شيء فإنه يرى فيه الحق. العارف شجاع، كيف لا وهو بمعزل عن محبة العاطل؟ وصفاح وكيف لا ذكره مشغول بالحق؟. هذه التعاليم الصوفية من شأنها أن تربي جانب الوجدان، وتلطف السر وتجعل النفس وتزينها، ولا جرم كان الشيخ محمد عبده صوفي الأخلاق.

وقد هذبت من صوفيته تربية السيد جمال الدين الأفغاني، وزاد ما استفاد من الأسفار وتعلم اللغة الفرنسية تهذيبا[1].

وقال معدن الإخلاص والفضل الأستاذ الشيخ محمد بن القائد على الإمام بالجامع الجديد بمدينة الجزائر:

غاض بحر العلوم أين العزاء وعيون الأنام سحب دماء
فبكى المسلمون حزنا عليه وبكى الدين والتقى الحياء
وبكى الفضل والفضائل طرا عن إمام الوري بحق البكاء
عبده الفيلسوف أحيا قلوبا ميتات أملها العلمـاء
حجة الله الرسول بمصر جاء يهدي أقوامه فأساءوا[2]

دموع الشعر على فقيد العصر

للشاب الذي عبد الحميد أفندي نجل إبراهيم حمدي بك:

النوم بعدك للعيون حرام يا كوكبا غدرت بك الأيام
والعلم بعدك أمحلت أصقاعه والدين قد لعبت به الأحلام
والأرض باكية عليك مع السما والناس بعدك أيتام
مصر عليك تقطعت أوصالها والهند تبكي خطبنا والشام

[1]- جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده:العروة الوثقة، المصدر السابق، ص 29.
[2]- محمد عبده، تاريخ الأستاذ محمد عبده، المصدر السابق، ص204.

وبكوا وضجا النيران وأظلما وبكى النهى وتصدع الإسلام

محمد من تركت لديننا والجهل قد رفعت له الأعلام

يا راحلا عنا مقامك عندنا باق ورسمك في القلوب مقام[1]

فرحم الله الأستاذ الإمام الذي اعترف بفضله الوطني والأجنبي، وأثنى عليه الموافق والمخالف ولا يزال ذكره حيا في الآخرين وسيرته أسوة حسنة إلى يوم الدين.

ب – سلبا:

اتهم محمد عبده من طرف بعض المفكرين بالضعف والتخاذل لأنه تخلف عن الكفاح السياسي وتعامل مع الاستعمار الانجليزي بعكس ما فعل به الأفغاني.

فقال له عنه عبد الرحمن الرافعي: ونقطة الضعف في شخصية الأستاذ الإمام محمد عبده تخلفه عن الكفاح السياسي واختلافه في هذه الناحية مع أستاذه السيد جمال الدين الأفغاني.[2]

وفي نقد دفاع الأستاذ عثمان أمين عن دفاعه عن موقف محمد عبده فإذا رجعنا على مراحل حياة الشيخ محمد عبده إزاء القضايا السياسية نجد في دفاع عثمان أمين نوع من التعاطف مع شيخه الروحي ونذكر بعض المواقف السياسية للشيخ محمد عبده:

1- تعاون في شبابه مع رياض باشا (صديق الانجليز) وعينه رئيسا للتحرير في الجريدة الرسمية سنة 1880 وهذا المنصب الإداري والسياسي الهام جعل الشيخ محمد عبده ينظر إلى التدخل الأجنبي بنظرة معينة.

2- تعاون مع الانجليز من تلقاء نفسه (اللورد كرومر–السيدة نزالي) عكس ما فعل الأفغاني...وكان ينظر معينة (الناحية القومية) أي إصلاح مختلف شؤون الشعب المصري من سياسية واقتصاد واجتماع ثم يمكن ذلك بعد محاربة الاحتلال الانجليزي.[3]

---

[1]- محمد عبده: تاريخ الأستاذ الشيخ محمد عبده، المصدر السابق، ص 404.

[2]- محمد طاهري: مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، مرجع سابق ص 87.

[3] - المرجع نفسه، ص ص 88،89.

ونعتقد أن محمد قد بالغ في تشاؤمه بالنسبة للجانب السياسي، وقد بالغ أيضا في المجال الديني، إذا كان يفهم الدين بمفهومه الواسع، ويريد دنيا متوسعا في تأويله، قادرا على تلبية حاجات العصر.[1]

يقول عنه المفكر الجزائري مال بن نبي: ... وهذا التكوين الأزهري واجه الشيخ محمد عبده مشكلة الإصلاح، فبعد أن أدرك حقيقة المأساة الإسلامية وجد من الضروري أن ينظر إليها كمشكلة اجتماعية، على أن أستاذه جمال الدين الأفغاني ذا العقل العفوي قد تناولها من الزاوية السياسية...[2]

كان شخصية متفتحة على العالم، وهذا ما جعل البعض يفترض عليه قائلا: ما هذا الشيخ الذي يتكلم بالفرنسية ويسبح في بلاد الإفرنج، ويترجم مؤلفاتهم وينقل عن فلاسفتهم، ويباحث علماءهم، ويفتي بما لم يقل به أحد من المتقدمين؟[3]

وقال عنه الكواكبي: ونقطة الضعف في شخصيته الأستاذ الإمام محمد عبده هي تخلفه عن الكفاح السياسي، واختلافه في هذه الناحية مع أستاذه جمال الدين الأفغاني.[4]

وقد ذهب محمد عبده مذهب التأويل العقلي، وأفرط فيه وكان من نتائجه تأويل معطيات العقيدة الإسلامية بما يتماشى مع العقل ومعطيات العلم في العالم الغربي، فمثلا نجده يؤل الجن: بالمكرب، وطير الأبابيل، بالبعوض أو الذباب وحجارة السجيل: بحر ثوم الدري أو الحصى، النفاثات في العقد. ويؤدي تفخيم العقل إلى مساواته بالوحي وتضييق خير الغيبيات في العقيدة الإسلامية كنفي حقيقة السحر.[5]

---

[1]– محمد طهاري: مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، مرجع سابق، ص 96.

[2] – المرجع نفسه، ص 138.

[3]– إسماعيل إبراهيم: شخصيات ضعت التاريخ في البطولة والفداء والنهضة الفكرية، مرجع سابق، ص 168.

[4]– قتيحة قرواني: الإصلاح عند محمد عبده، مرجع سابق، ص 32.

[5]– أحمد كعبوش: الأسس الاجتماعية للإصلاح التربوي عند الإمام محمد عبده، مرجع سابق ص 122.

قال عبد الرحمن الرافعي في كتابه سيرة الأستاذ الإمام من تاريخ الثورة العرابية"...فقد كتب إلينا أديب علم أننا نكتب سيرة الأستاذ الإمام فاستحلفنا أن لا ننسى هذه المسألة في موضعا من السيرة فقال: ومما أرجو أن تناقشوا ما جاء في كتاب الثورة العربية[1]

ونقطة الضعف في شخصيته أي شخصية الأستاذ الإمام هي تخلفه عن الكفاح السياسي واختلافه في هذه الناحية مع أستاذه جمال الدين الأفغاني وقد بدأ انقطاعه عنه منذ عودته إلى مصر سنة 1889 فترك أستاذه يعاني متاعب الكفاح السياسي وآلامه ومرارته، وكان من قبل عضده وساعده الأيمن، وأنك لتلمح تراخي الصلات بينهما حتى الصلات الشخصية منذ أن عاد إلى مصر، حتى وفاة السيد جمال الدين الأفغاني من قراءة منتجات الإمام، فإنك لا تجد فيها رسالة واحدة كتبها إلى السيد في محنته وضفاه، بل إن جمال الدين توفي سنة 1897 فلا نجد للأستاذ كلمة رثاء أستاذه الروحي والفلسفي وميل جهاده في العروة الوثقى، وهذه الناحية من أثار الاحتلال في أخلاق الأمة ونفسيتها.[2]

وجنى توتر العلاقة بينه وبين الأستاذ الأفغاني الذي كان مستقرا بالأستانة فقال له أستاذه: إنك تكتب لي ولا تمضي، وتعقد الألغاز... من أعدائي؟ وما الكلاب كثرت أم قلت؟ فكن فيلسوفا يرى العالم ألعوبة ولا تكن صبيا هلوعا.[3]

إن نظرية محمد عبده تبدو وسيلة غلى حد بعيد غير أن الوضعية القائمة جعلته بعيد نوعا ما عن خطته من الناحية السياسية (مساندة الاستعمار الانجليزي والتعامل معه، فهم واسع للدين، تأويل ومن هنا نستطيع القول أن محمد عبده كان يركز على الفرد من أجل الوطنية، فيجد فكرة القوميات ويميل ميلا كبيرا إلى الإصلاح من الناحية التربوية.[4]

---

[1]- عباس محمد العقاد: عبقري الإصلاح محمد عبده، مرجع سابق، ص 122.

[2]- المرجع نفسه، ص 122.

[3]- رحاب عكاوي: أعلام الفكر العربي الإمام الشيخ محمد عبده في أخباره وأثاره، مرجع سابق، ص 43.

[4]- فتيحة قرواني: الإصلاح عند محمد عبده، مرجع سابق، ص 33.

ويرى محمد عمارة الذي يصر على أن أراء محمد عبده في الإصلاح الديني والتحرر الفكري لا يمكن أن تنحصر دائما إلا بواسطة نضال ثوري ينهض بعبئه مجتمع ثوري أي أن هذه الآراء كما يرى عمارة لن يكتب لها النجاح الحقيقي إلا إذا كانت جزءا من برنامج ثوري متكامل يناضل أصحابه على مختلف الجبهات لأن الأهداف التي يسعى غليها عبده هي في حقيقتها مهام ثورية تستهدف تحرير العقل من الخرافة، وتحرير الألسنة من السطحية والخطأ الذي وقع فيه عبده أنه سلك طريقا غير ثوري كي يحقق بواسطته أهدافا وغايات إلى درجة من العصق ... تجعل منها مهاما ثوريته لا بد لتحقيقها من أسلوب ثوري ومناضلي ثوار[1]

ليس هناك تطور خطي في الحياة الفكرية لعبده وليست أفكاره في المرحلة الثانية تجاوزا لأفكاره في الأولى، بل ما حدث أنه لم يعد قادرا في المرحلة الثانية على التعمير عن آرائه بنفس الوضوح والجراة المميزين للمرحلة الأولى، ولذلك ينبغي أن نقلب رأسا على عقب منهج قراءة محمد عبده، فالآثار المشهورة (رسالة التوحيد–الإسلام والنصرانية–التفسير) هي التي ينبغي أن تقرأ وتؤول على ضوء الآثار المغمورة (رسالة الواردات–التعليقات على الشرح الدواني–مقالات الوقائع) وذلك على خلاف المنهج السائد منذ رشيد رضا إلى الآن.

لقد ظلت صورة عبده باستمرار ضحية تقلبات تأويلية متعددة، فرضتها استراتيجيات معقدة لتوظيف سلطته الرمزية، فقد قدم رضا أستاذه في هيئة السلفي عندما كان يتجه غلى التقارب مع الحركة الوهابية ورسمه أصدقائه في الحركة الوطنية في صورة متعددة بحسب تطور علاقاتهم مع القصر والانجليز.

وجعله الليبيراليون ليردوا عن أنفسهم تهم التكفير والتغريب، وغمطت الأسرة الخديوية ذكره آنا، ثم استعادته كسلطة رمزية تواجه بها سلطة الأزهر.

وحاربه الأزهريون طورا، ثم استعادوه واجهة دعائية يتملصون عبرها من تهمة الجمود[2].

---

[1]– رضوان زيادة: إيدولوجيا النهضة في الخطاب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 42.

[2]– محمد الحداد، حفريات تأويلية في الخطاب الإصلاحي العربي، المرجع السابق، ص 200.

ومن النظرة الشاملة إلى الفكر الذي قدمه الأستاذ الإمام في موضوع التربية والتعليم أن الرجل كان صاحب نظرة مثالية، غير واقعية إلى هذا الحقل من حقول الإصلاح...فهو عندما اعتقد أن التربية هي العصا السحرية التي تغير كل شيء وتبدل كل سلبي فتجعله إيجابيا، وتعدل كل منقوص فتجعله كاملا، وتطلق كل مقيد فتجعله متحررا....[1] عندما اعتقد ذلك فقد أغفل أو قلل من شأن الجوانب الأخرى في حياة المجتمع، لا تكفي التربية لوجود حياة أسرية سعيدة ومستفزة ولا تكفي التربية وحدها للحاق بالأمم المتقدمة فسيطرت على نظرة الرجل غلى موضوع التربية وهذه تجربة ذاتية.

وعنده أن الإنسان إذا افتقد التربية، افتقد كل شيء فلن يستطيع أن يتحلى بالعدل أو الغنى أو الكمال إلا إذا كان مصقولا بالتربية والتعليم.[2]

وهنا يمكن القول أن نظرة الرجل إلى هذا الموضوع كانت نظرة مثالية غير واقعية ولا عملية وأنه ناضل من أجل أن يكون العمل التربوي بديلا عن العمل السياسي.

[1]- محمد عبده: الأعمال الكاملة، المصدر السابق، ص 155.

[2]- المرجع نفسه، ص 157.

المبحث الثالث: ميراثه الإصلاحي

1.محمد رشيد رضا:

وصار محمد رشيد رضا امتداد الدعوة محمد عبده خلال الثلاثين عاما التي أعقبت وفاة محمد عبده في عام 1905. إلا أنه امتداد له تميزه وتنوعه واستجابته للأوضاع المتغيرة على مدى هذه السنين، كما كان السيد محمد رشيد رضا أوغل في السياسات العملية سواء العربية أو الإسلامية من الإمام محمد عبده واكتمل لديه منهج التفسير للقرآن مع الربط بين قضايا الفقه وقضايا السياسة، كما عاصر الأحداث التالية لمحمد عبده، وما كان يحتاج إلى هذا الأشغال بهذه السياسات الوطنية.[1]

ومن أهم أثار الإمام محمد عبده أولئك الأعلام الذين تأثروا بعلمه الذين تأثروا بعلمه وساروا على هذى نصائحه وإرشاداته، حيث كانت جلساته لنشر العلوم وتفسير كلام الله عز وجل تكسب كل من استمع له حكمة وعلما، وكان يحضر مجالسه: سعد زغلول، قاسم أمين، وحسن عاصم وعلي فخري، لطيف سليم وحسين رشدي، وعدلي يكن، وعبد الخالق ثروت وعبد الكريم سليمان ومحمد ماهر باشا وغيرهم من الشخصيات المعروفة.[2]

فسعد زغلول تلميذ الإمام بعد أن يتولى وزارة المعارف يحقق حلمي من أفلام الإمام: أحدهما إنشاء مدرسة القضاء الشرعي، وثانيهما إنشاء الجامعة المصرية بالتعاون مع قاسم أحد تلامذة الإمام.[3]

ومن بين ما قاموا بحمل اللواء بعد محمد عبده نذكر الشيخ عبد الكريم سليمان والشيخ مصطفى عبد الرزاق أستاذ الفلسفة الإسلامية بالجامعة المصرية الذي كانت له صلة بالشيخ محمد عبده، ولما حصل مصطفى عبد الرزاق على العالمية من الأزهر سنة 1909 سافر إلى فرنسا وهناك درس علم الاجتماع وعلم الأخلاق على دوركايم سنة 1927 عين أستاذ الفلسفة في الجامعة المصرية

---

[1]- طارق البشري:الملامح العامة للفكر السياسي، المرجع السابق، ص 19.

[2]- إسماعيل إبراهيم: شخصيات منعت التاريخ في البطولة والفداء النهضة الفكرية، مرجع سابق، ص 174.

[3]- محمد عبده: دروس من القرآن، مصدر سابق، ص 19.

وقد اهتم لمدة طويلة بمحمد عبده تعاليمه وقد اشترك مصطفى عبد الرزاق مع بيرنا ميشال في ترجمة رسالته التوحيد إلى الفرنسية وكتب مقدمة تكلم فيها عن تاريخ محمد عبده وتعاليمه، ويبدو أن الشيخ مصطفى عبد الرزاق مع تمسكه بالدفاع عن مبادئ محمد عبده.[1]

أعطى عناية خاصة إلى الجانب العقلي من النهضة التي خلفها محمد عبده، ومن أكبر تلاميذ محمد عبده مصطفى المراغي الذي اهتم بمسائل الفقه وإعادة تنظيم الجامعة الإسلامية على نمط يتفق مع حاجيات العصر، ومن هؤلاء جميعا مئات من الشباب غزاهم تفكير جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، ومن بينهم يمكن ذكر الفيلسوف عثمان أمين صاحب الفلسفة الجوانية الذي كرس حياته لدراسته أثار محمد عبده وقدم رسالة دكتوراه إلى السربون عن أفكاره محمد عبده.

الفلسفية والدينية سنة 1939 وتتلمذ على يد محمد عبده بطريقة غير مباشرة، وجاء من أستاذه مصطفى عبد الرزاق[2].

ومن أشهر تلاميذه محمد رشيد رضا يعد أكبر تلاميذ محمد عبده ومؤرخ سيرته بعد وفائه، وهو الذي نشر كتبه، ونشر تعاليمه وقد مال في شبابه على التصرف و اشتغل بالعبادة ثم أخذ يعلم القرآن للعامة من قريته، وبين ما جاء فيه من آيات الترهيب والإنذار والزهد في الدنيا، وكان ما شغل بال محمد رشيد رضا صحة العقيدة وهدف العبادة، فلما قرأ العروة الوثقى غيرت مجرى حياته ....

وذهب رشيد رضا غلى القاهرة سنة 1897 وبحث عن الشيخ محمد عبده وتتلمذ عليه ثم استمرت العلاقة في ود متزايد إلى أن توفي الشيخ محمد عبده سنة 1905، وبعد مدة قليلة دخل رشيد رضا في غمار الصحافة وأخرج المنار صحيفة أسبوعية ذات ثماني صفحات في الثاني والعشرين من شوال 1315 الموافق لـ17 مارس 1898 وكان المنار يتضمن مقالات خاصة وأخبار كان لها أهمية في تلك الأيام ....

[1]- محمد طهاري: مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، مرجع سابق، ص 149.

[2]- المرجع نفسه، ص 150

وكانت غاية رشيد رضا من إنشاء المنار مواصلة السير على نهج عروة الوثقى...[1].

ومعاصر طاهر الضاحي يكتب ما يلي: وقد عمد رشيد رضا إلى شيء لم يسبقه إليه مترجم عظيم من عظماء التاريخ ولا تلميذ يكتب عن حياة أستاذه، فقد وضع التاريخ الشيخ محمد عبده وما قام به من أعمال وكأنه يضع تاريخا لنفسه أيضا، فقد لا ترى فصلا أو بحثا للسيد رشيد رضا عن الأستاذ الإمام إلا وقد اشترك نفسه فيه وكأن حياته جزء من حياة الإمام...[2].

2.عبد الحميد ابن باديس:

إن الحركة الإصلاحية التي قادها الشيخ عبد الحميد بن باديس مطلع القرن20 ، والتي تقوم على التربية كمنطلق لكل نهضة منشودة ولكل إصلاح هادف لم تأت من فراغ وإنما جاءت كامتداد لحركات إصلاحية أخرى، ومن بين الحركات الإصلاحية التي أثرت في الحركة الإصلاحية الباديسية نجد:

حركة محمد عبده: إمام المجددين وتلميذ الأفغاني وأستاذ رشيد رضا وصاحب مجلة المنار التي أثارت الدروب والمسالك أمام التائهين يقول عنه أستاذه الأفغاني محمد عبده اعتدال في السياسة وثورة في الفكر الديني، إن هده الشهادة ليست من شخص غريب لا يعرفه ولا إنسان يريد أن يجامله وإنما أستاذ يعرف فكر تلميذه وشعوره.[3]

فقد كان محمد عبده إماما ثائرا ولم يكن سياسيا فقد شرح مشاكل العالم العربي والإسلامي وتأكد لديه مشكلة دينية، وأن الحل لا يكون إلا بإثبات الجوهر العقلاني للإسلام ضد التقليديين والخصوم المحدثين معا فهو يدعو إلى بناء علم العقيدة على أسس عصرية مع معطيات العصر فهو يعطي أهمية بالغة لإصلاح التعليم كي يتاح لهدا التصور العقلاني أن ينتشر على أوسع نطاق.[4]

---

[1]- المرجع نفسه، ص ص: 146- 147.

[2] محمد الحداد: حفريات تأويلية في الخطاب الإصلاحي العربي، مرجع سابق، ص 200.

[3] صلاح زكي أحمد: أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث، مركز الحضارة العربية، ط1، 2001، ص63.

[4] شريف رضا: تجربة التجديد والإصلاح في فكر ابن باديس ومحمد عبده، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، د.ت.ط، 2011، ص25.

فقد كانت دعوته صريحة إلى تطهير النفوس وتحرير العقول والعودة إلى الدين في شموليته وعالميته ومسايرته لكل زمان ومكان، وقد كان ابن باديس معجبا بمحمد عبده الذي زار الجزائر سنة 1903 وخاصة أفكاره التربوية، وهنا يظهر أثر محمد عبده في أفكار ابن باديس الإصلاحية حيث يتفق معه في اعتبار التربية أساس بناء المجتمع قوي ومتماسك قادر على الصمود في وجه الصعاب والتحديات.

وفعلا اعتبر ابن باديس التربية وسيلة فعالة لتحقيق مشروعه الإصلاحي الذي يعتبر مشروعه التربوي أحد جوانبه.[1]

هنا يتبين لنا أن التجربة الإصلاحية لابن باديس تبلورت أفكارها من أفكار محمد عبده فقد كان هدا الرجل العظيم أثر بالغ في الحركة الإصلاحية الباديسية إلا أن ابن باديس لم يكن مقلدا لأفكار محمد عبده وإنما كان ناقدا ومبدعا ومجددا لدلك عندما نتبع أفكاره الإصلاحية يظهر لنا الاختلاف في الرؤية بينه وبين زعماء الإصلاح في العصر الحديث.

ويرى الكثير من الباحثين والمؤرخين في مشروع ابن باديس الإصلاحي امتداد الحركة محمد عبده إد تأثر ابن باديس واضح في شبابه بالحركة السلفية ومدرسة الإمام محمد عبده عن طريق أساتذته بالجامع الزيتونة وعن طريق المجلات والصحف الإصلاحية التي تصل إلى الجزائر رغم الرقابة الشديدة التي كانت تمارسها السلطة الاستعمارية، واتصاله بالعلماء الجزائريين الدين عادوا إلى الجزائر بعد دراستهم في مصر والحجاز، إلا أنه لا يمكن جهل بعض الخصائص التي تتعلق بالوضع الاستعماري للجزائر وعبقرية ابن باديس دون إجحاف لدور محمد عبده وأن المشروع الإصلاحي عند ابن باديس يتمثل في المقام الأول في تربية النشء لتحضير مستقبل الجزائر، وجاء أيضا مشرعه الإصلاحي تأثره المباشر بمحمد عبده.[2]

---

1 محمد طهاري: الحركة الإصلاحية في الفكر الإسلاميالمعاصر، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1999، ص 53.

2 شريف رضا: تجربة التجديد والإصلاح في فكر ابن باديس ومحمد عبده، مرجع سابق، ص82

3.مالك ابن نبي

وقف ابن نبي حياته للإصلاح، وعمل في ميدان الفكر، ولم يعمل في مجال اختصاصه مهندساً كهربائياً؛ لأن شعوره بالخطر الاستعماري، والمعاناة التي عاشها مع شعب الجزائر؛ جعلته يجيب كل من يسأله: بلدي حالياً بحاجة إلى مفكر أكثر من حاجته إلى مهندس".[1]

حذا بن نبي حذو محمد عبده فبدل جهودا متميزة لبناء الفكر الإسلامي الحديث ودراسة المشكلات الحضارية عموما. وهو من أوائل الذين حددوا منهجا في بحث مشاكل المسلمين على أساس من علم النفس والاجتماع والتاريخ "فعزا انحطاط الفكر والمجتمع إلى انحطاط الإنسان المسلم، مؤكدا أن الدين، بعد ان يكون في عهد نموه مولدا للفضائل الإنسانية، يصبح في عهد انحطاطه، فرديا أنانيا يحول نظر المؤمنين عن المجتمع الإنساني. وبين مالك بن نبي أن العلامة الدالة على انحطاط الإسلام اليوم هي سيطرة الطرق الصوفية، وبروز ذهنية عاجزة عن التفكير ومقعدة خلقيا. ثم يقول أن مجيء أوروبا قد فسح المجال أمام المسلمين للتغلب على انحطاطهم وذلك بتحطيم نظامهم الاجتماعي الجامد. وتحريرهم من الاعتقاد بالقوى الخارقة والأوهام .لكن المدنية الغربية، وهي ذاتها في حالة انحطاط لم تتمكن من مد المسلمين بالأساس الضروري للفضائل الاجتماعية. هذا الأساس الذي يفتقرون إليه اليوم والذي لن يعثروا به إلا بإعادة بناء عقيدة الإسلام الحقيقة في الإنسان"[2]

4. علال الفاسي.

يظهر الأثر الجلي لمحمد عبده على علال الفاسي في كتابه "النقد الذاتي"الذي شرح فيه نظرة للإسلام شبيهة بنظرته. فانتقد الفكر الإسلامي والمجتمع الإسلامي ووضع مخططا للإصلاح، حدد فيه المنهج الفكري لمغرب المستقبل، متخذا من الحرية والفكر أساسا لكل نجاح، وداعيا إلى نشر حرية التفكير حتى لا يظل وقفا على طبقة معينة أو حكرا على فئة خاصة ومفندا للاتجاهات الفكرية

---

1 ألبرت حوراني،مرجع سابق،ص443

[2] مالك بن نبي: شروط النهضة، تر: عبد الصبور شاهين وعمر كامل صقاوي، مكتبة دار العروبة، القاهرة، ط2، 1961، ص20

الخاطئة حول القضايا الدينية والاجتماعية. كما انه وضع مفهوما للأمة على أنها" تنشأ عن العلاقة القائمة بين أرض معينة والشعب القاطن فيها، وعلى هذا فهناك أمة مغربية قائمة بذاتها، كونتها طبيعة الأرض والماضي، ولا يمكن فصل حياتها القومية عن تعاليم الإسلام وما التفكير في فصل الدين عن المجتمع وفي إقامة الدولة العلمانية إلا من نتاج المسيحية واختبار أوروبا، وهو تفكير لا يمكن أن يظهر في المجتمع الإسلامي، وليس من حاجة لظهوره فيه"[1]

لقد رفض علال الفاسي فصل الدين عن المجتمع لأن الإسلام بالنسبة له قاعدة للتربية القومية الصحيحة وللنظام الشرعي الحديث، لهذا يجب أن يستمد القانون المغربي الإسلامي من الشريعة ومن عادات المغرب في آن واحد.

[1] ألبرت حوراني، مرجع سابق،ص443

خاتمة

خاتمة

خلاصة القول أن الإمام محمد عبده أحد المصلحين البارزين في عصر النهضة العربية الإسلامية وهو من الرجال الذين يقولون فيعملون، وهذا ما يشهد له عمله فيما قام به من إصلاحات في جامع الأزهر، وما قام به من دعوات الإصلاح عندما كان مفتيا للديار المصرية والرحلات التي كان يقوم بها من الشرق إلى الغرب، والجرائد التي كان ينشر فيها نضاله، فالإمام محمد عبده بحق رجل غيور على أمته جاهد بالنفس والنفيس من أجل إحياء مجد الأمة العربية الإسلامية، نفي أكثر من مرة عاش في بعض الأوقات معوز الحال وكل ذلك بسبب أفكاره وأرائه أولها المعادية للتقليد وجمود التعليم والأفكار السياسية في البلاد العربية وثانيها عودته للتنبيه على النفوذ الغربي في البلاد الإسلامية وخاصة منها موطنه مصر من النفوذ الانجليزي.

وأنا من خلال بحثي في فكر محمد عبده الإصلاحي وجدته رجلا يسعى لإقامة مشروع حضاري للأمة العربية الإسلامية، فلم يكن داعيا فقط بل كان منظرا لوجهة فكرية معينة، عمل طول حياته على تجسيدها وبذلك فهو رجل ومفكر سياسي وإصلاحي سطر خططه لمشروعه الحضاري.

فقد بحث عن أسباب الجمود الذي تعاني منها الأمة العربية الإسلامية وتساؤل: عما إذا الإسلام استطاع أن يبني حضارة تشد إليها الرجال من كل صوب؟ فما بال المسلمين اليوم في تغلف وتبعية؟ ولذلك وجه موقفه من التقليد. وإذا كان الإسلام يدعو إلى التوحد فما بال المسلمين اليوم في شتات وتمزق فاقدين سيادتهم ينهش المستعمر خيرات البلاد ولا يستطيعون رده؟ لدلك وجه موقفه تجاه الانجليز والاستبداد العثماني وللمسلمين اليوم نفس الدستور الذي أقام هم سلموا الأمس حضارتهم وهذه الحضارة لم تمت وإنما هي سبات تنقصها العزيمة لإقامة أسسها الأولى التي دان لها الغرب بالأمس فما بالها اليوم؟ وبما أن الحضارة هي إبداع من الداخل، إبداع من داخل أنفسنا والأمة العربية والإسلامية لها كيانها وخصائصها التي تقوم عليها ككل أمة فإن المصلح السياسي (المبدع) لا بد له وأن يراعي هذه الخصائص في عمله الإصلاحي، وإلا فإن مشروعه محتم عليه

بالفشل لأنه ولد ليموت، وهذا ما لاقاه التيار التغريبي والذي يرى أن الحضارة الغربية هي النموذج الذي يقتدي به، فلم يلاق استجابة من المجتمع بل جوبه بالرفض والنفور، وهذا على أساس ثوابت الهوية العربية الإسلامية. فبنا محمد عبده سلطته أو دولته على أساس التربية والتعليم الذي وجد فيهما خير معين على الإصلاح المتين، والذي يثبت نجاعته في مقابل الإصلاح السياسي الذي ثورته قد لا تدوم دلك لأن الطبقة العامة من المجتمع إذا كانت جاهلة بمصالحها فإنه سرعان ما يعود الحال على ما كان عليه وأشد فيسوء الحال وأكثر نظرا للأطماع التي سرعان ما تتفشى في السلطة الجديدة والغوغاء خير معين للسلطان الغاشم. نستنتج أن محمد عبده قد دعا أئمة البلاط إلى بث روح التسليم بالقضاء والقدر لذلك على أخيار الأمة من المصلحين الدعوة إلى إصلاح مناهج التربية والتعليم، بما يساعد على إنشاء جيل من لمسلمين يفهم دينه بطريقة صحيحة.

أي دين يدعوا إلى تحرير العقل بما لا يتعارض مع الإيمان وله الحرية فيما دون دلك، دين لا يعارض علوم العصر وتكنولوجياته وإنشاء جيل من المتعلمين يدع في بناء الحضارة أي جيل يقوم بالتجديد الأصيل والإبداع فالتجديد هو المسألة الأساسية في فوض الأمم، لكن لا يجب أن نبقى مقلدين فالمقلد يبقى متخلفا مهما وصل إليه من استيراد لفكر ومنتجات الحضارة الغربية. وحتى لو التفت المقلد إلى الماضي فإنه لن يفيد الكثير لأن العقل الذي لا يحسن الانتقاد والإبداع لن نستطيع أن يوائم بين فكر الماضي ومستجدات الحاضر.

أما المجتهد فهو الذي يستطيع أن يدع لنفسه ولمجتمعه وحضارته. وهذا يكون محمد عبده قد أسهم في إيقاظ المسلمين لمواجهة تحديات العصر التي تواجهها مجتمعاتهم وفي طليقها الإصلاح الاجتماعي والديني والسياسي باعتبارهم السبيل الملائم الذي يرقى هذه المجتمعات وتحولها لمجتمعات مدنية ومتطورة، إذا أرادنا أن نميز فكر الشيخ محمد عبده عن غيره فإننا سوف نلجأ إلى رفعة من مكانة العقل وبعله الميزان القسط، أو الحكم المطلق لصلاحية في كل ما يواجهنا في ديننا ودنيانا، ولأن العقل هو الدليل الذي يقودنا إلى المدنية والحضارة وحث المسلمين على استثمار طاقة العقل

فإن الاجتهاد عن طريق استخدام العقل يؤدي إلى إيجاد حلول ملائمة لمشكلات المسلمين وقضاياهم المعاصرة والراهنة.

وختاما يظل هذا تصور محمد عبده لدولة تسودها سلطة أساسها التربية والتعليم يقودها حاكم بشروط خاصة يؤدي كل وظائفه التي تضمن له المحافظة على أسس النظام الإسلامي هدفه إصلاح الشيء لتكوين أمة مسلمة ودولة يسودها العيش الرغيد والعدل والقسط الدائمين والاتحاد في ظل الدولة المسلمة.

كما يعتبر أحد أعظم من أنجبت مصر في تجديد الفكر الديني، ورائد حركة الإصلاح في مصر وأحد أعمدة التجديد في الفكر الإسلامي ودعاة الإصلاح الذين حرروا العقل العربي والمصري من الجمود الذي أصابه لقرون عديدة كما شارك في إيقاظ وعي الأمة نحو التحرر والوطنية، وجاءت فكرة التجديد والإصلاح في المشروع نتيجة واقع المسلمين المتردي، وشكل محاولة فكرية لتغيير النفس والفكر والواقع في العالم الإسلامي.

تميزت بالقوة لارتباطها بالإسلام وبالعلوم المزدهرة وبالفكر الإسلامي كما شكل رؤية فلسفية إلى الإنسان والتاريخ والحياة، وتمثل مشروع خطة ذات طابع فكري نظري للنهضة والتجديد والدخول إلى التاريخ وإلى حلبة المعترك واحتلال أمة الإسلام لمكانتها اللائقة بها في إطار الحوار والتواصل.
وعليه فالفكر الإصلاحي عند الشيخ الإمام (محمد عبده) تميز بالقوة والمتانة لصلته المباشرة بواقع وحياة المسلمين في العالم الإسلامي، ولتعبيره عن مشاكلهم وهمومهم وعن آمالهم وتطلعاتهم وبلوغه مستوى رفيع من الحقيقة في مناهجه وأساليبه لأنه أخذ بالدين والعلم واستطاع أن يكفل التوازن بين طرفي الكمال، الروح، المادة، الدين والدولة، الدنيا والآخرة، ذلك هو عين التحضر وقمته هو مبتغى الإسلام ومقصده.

وأخيرا ... هذا الجهد المقل، وأسأل الله أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم وموافقا لشرعه الحكيم وأن ينفع به كل من كتبه وقرأه والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- **المصادر**

1. محمد عبده، الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية، تقديم برهان غليوم، دط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1990
2. محمد عبده، الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، تحقيق وتقديم محمد عمارة، ج1، ط1، دار الشروق، بيروت، لبنان، 1993
3. محمد عبده، الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، تحقيق وتقديم محمد عمارة، ج2، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1980
4. محمد عبده، تاريخ الأستاذ الشيخ محمد عبده، ط2، ج2، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006
5. محمد عبده، جمال الدين الأفغاني، العروة الوثفى، ط2، دار الكتاب العربي، إعداد وتقديم، سيد هالي خسر وشاهي، ط1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2002
6. محمد عبده، جمال الدين الأفغاني، العروة الوثقى، ط2، دار الكتاب العربية، بيروت، لبنان، 1980
7. محمد عبده، دروس من القرآن، ط4، دار أحياء العلوم، بيروت، لبنان، 1987
8. محمد عبده، رسالة التوحيد، ط2، دار المنار القاهرة، 1366هـ
9. محمد عبده، ماذا يعني انتمائي للدعوة؟ ط1، دار التوزيع والنشر الاسلامية، القاهرة، مصر، 2004.

- **المراجع**

1. أحمد امين، زعماء الاصلاح في العصر الحديث، دط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر 1965

2. اسماعيل ابراهيم، شخصيات صنعت التاريخ في البطولة والفداء والنهضة الفكرية، دط، عالم الكتب مصر، القاهرة، 2003

3. آلبرت الحوراني، الفكر العربي في عصر النهضة، 1798-1939، ترجمة كريم عزقول، ط3، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، 1977

4. رحاب عكاوي، أعلام الفكر العربي، الامام الشيخ محمد عبده في أخباره وأثاره، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، 2001

5. رضوان زيادة، ايديولوجيا النهضة في الخطاب العربي المعاصر، دط، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 2004

6. الزبيدي باسم، الاصلاح وجذوره وأوجه استخدامه، مؤسسة الناشر للدعاية والاعلام، ط1، 2005

7. زكريا سليمان بيومي، التيارات السياسية والاجتماعية بين مجددين ومحافظين، الهيئة المصرية للكتاب، 1973

8. شريف رضا، تجربة التجديد والإصلاح في فكر ابن باديس ومحمد عبده، د ط، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، 2011

9. صلاح زكي أحمد، أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث، مركز الحضارة العربية، ط1، 2002

10. طارق البشري، الملامح العامة للفكر السياسي الاسلامي في التاريخ المعاصر، ط1، دار الشروق، مصر، 1996

11. عباس محمود العقاد، عبقري الاصلاح محمد عبده، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، د، ط-ت

12. عبد الرحمان محمد بدوي، محمد عبده والقضايا الإسلامية، مطابع الهيئة المصرية للكتاب، د ت ط

13. عثمان أمين، رائد الفكر المصري محمد عبده، المجلس الأعلى للثقافة، الهيئة العامة لشؤون المطابع، د ت ط

14. عثمان أمين، محمد عبده، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، لبنان، د ت ط

15. عطية سليمان عودة أبو عاذرة، مشكلتا الوجود والمعرفة في الفكر الإسلامي الحديث عند كل من الإمام محمد عبده ومحمد اقبال، دراسة مقارنة، ط1، دار الحداثة، 1985

16. علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798-1914 الاتجاهات الدينية والسياسية والاجتماعية والعلمية، دار الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1987.

17. علي زيغور، الخطاب التربوي والفلسفي عند محمد عبده، ط1، دار الطليعة للكتاب والنشر، بيروت، لبنان، 1988.

18. علي شريعتي، الأمة والامامة، مؤسسة الكتاب الثقافية، طهران، د ت ط.

19. غازي التوبة، الفكر الاسلامي المعاصر، دراسة وتقويم، ط3، دار الطليعة للكتاب والنشر، بيروت، لبنان 1988

20. ماجد غرباوي، قضايا اسلامية معاصرة، اشكالية التجديد، دط، دار الهادي للطباعة والنشر، 2000

21. ماجد فخري، تاريخ الفلسفة الإسلامية، تر: كمال البارجي، الجامعة الأمريكية، بيروت، د ت ط.

22. مالك بن نبي، شروط النهضة، تر: عبد الصبور شاهين وعمر كامل صقاوي، مكتب دار العروبة، القاهرة، ط2، 1961

23. مالك بن نبي، مشكلات الحضارة وجهة العالم الإسلامي ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سوريا، د ت ط.

24. محسن عبد الحميد، جمال الدين الأفغاني المفتري عليه، ط2، مؤسسة الرسالة لبنان، بيروت، 1985

25. محمد الحداد، حفريات تأويلية في الخطاب الاصلاحي العربي، ط1، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 2002

26. محمد بديع وآخرون، دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة، ط25، دار إقرأ، بيروت، 1984

27. محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الامام محمد عبده، ج3، دط، مطبوعات المطار، مصر، 1324هـ

28. محمد طهاري، الحركة الإصلاحية للفكر الإسلامي المعاصر، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1999

29. محمد طهاري، مفهوم الاصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، دط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984

30. محمد عابد الجابري، المشروع النهضوي العربي، مراجعة نقدية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، د ت ط.

31. محمد عزيز نظمي سالم، الفكر السياسي والحكم في الاسلام، مؤسسة الشباب الجامعية، الاسكندرية، د ت ط

32. محمد عمارة، جمال الدين الأفغاني موقظ الشرق وفيلسوف الاسلام، ط2، دار الشروق، القاهرة، 1989

33. منذر معاليقي، معالم الفكر العربي في عصر النهضة، دط، دار اقرأ، 1986

34. هشام ترابي، المثقفون العرب والغرب، دط، دار النهار للنشر، بيروت، 1971

35. هشام شرابي، المثقفون العرب والغرب، دار النصر للنشر، 1971

- **المعاجم والموسوعات**

1. ابن منظور، لسان العرب، ج1، طبعة دار المعارف، مصر، د ت ط
2. أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ط2، مج01 (A–b) منشورات عويدات، بيروت، 2001
3. جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية والاتينية، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982
4. مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار القباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ت ط

- **الأطروحات**

1. أحمد كعبوش، الأسس الاجتماعية للإصلاح التربوي عند الامام محمد عبده، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير، اشراف طيبي مسعود، بوزريعة، المدرسة العليا للأساتذة، 2009
2. فتيحة قرواني، الاصلاح عند محمد عبده، مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس، اشراف طالب مناد، بوزريعة، 2008-2009

3. موسى بوبكر، اشكالية التوفيق بين الأصالة والمعاصرة في فلسفة محمد عبده، مذكرة تخرج لنيل شهادة ماجيستير، اشراف محمد بلعزوقي، بوزريعة، المدرسة العليا للأساتذة، 2004-2005

الملاحق

الملاحق

ملحق رقم 01

من مقالات الأستاذ الإمام في مساوئ الاحتلال البريطاني

مع وزير الحربية الإنجليزي

سنة 1883م و عندما زار الأستاذ الإمام لندن مندوبا عن "العروة الوثقى" **و ممثلا للسيد جمال الدين** ،التقى من جملة من التقى بهم من رجالات السياسة الإنجليز وزير الحربية " **اللورد هرتنتكو**ن" فكان بينهما هذا الحوار الذي نشرته العروة يوم ذاك.

اللورد هرتنتكون: ألا يرضى المصريون أن يكونوا في أمن و راحة تحت سلطة الحكومة الإنجليزية؟ و ألا يرون حكومتنا خيرا لهم من حكومة الأتراك ، و فلان باشا، و فلان باشا؟

الشيخ محمد عبده : كلا...إن المصريين قوم عرب و كلهم مسلمون إلا قليلا، و فيهم من محبي أوطانهم مثل ما في الشعب الإنجليزي، فلا يخطر ببال أحد منهم الميل إلى الخضوع لسلطة من يخالفه من الدين و الجنس، و لا يصح لحضرة اللورد، و هو على علم بطبائع الأمم، أن يتصور هذا الميل في المصريين .

اللورد هرتنتكون: هل تنكر أن الجهالة عامة في مصر؟ و أن الكافة لا تفرق بين الحاكم الأجنبي و الحاكم الوطني؟ و أن ما ذكرته من النفرة من سلطة الأجانب إنما يكون في الأمم المهذبة.

الشيخ محمد عبده (بغضب و احتداد): أولا: إن النفرة من ولاية الأجنبي و نبذ الطبع لسلطتهم مما أودع في فطرة البشر و ليس بمحتاج إلى الدرس و المطالعة، و هو شعور إنساني ظهرت قوته في أشد الأمم توحشا، ك"الزولوس" الذين لم تنسوا ما كابدتموه منهم في الدفاع عن أوطانهم.

ثانيا: إن المسلمين مهما كانوا، و على أية درجة وجدوا، لا يصلون من الجهل إلى الدرجة التي يتصورها الوزير، فإن الأميين منهم، و من لا يقرأون و لا يكتبون، لا يفوتهم العلم بضروريات الدين، و من أجلها أطهرها عندهم أن لا يدينوا لمخالفيهم فيه، و إن لهم في الخطب الجمعية و مواعظ الوعاظ في مساجدهم ما يقوم مقام العلوم الإبتدائية ، وإن جميع ما يتلقونه من النصائح الدينية يحذرهم من الخضوع لمن لا يوافقهم و يحدث فيهم من الإحساسات الشريفة الإنسانية ما لا ينحطون

معه عن سائر الأمم، خصوصا المصريين الذين ينطقون باللسان العربي، و يفهمون دقائق ما أودع في ذلك اللسان و هو لسان دينهم.

و ثالثا: إن أرض مصر من زمن محمد علي قد انتشرت فيها العلوم و الآداب الجديدة على نحو ما هو موجود في بلاد أروبية، و أخذ كل مصري نصيبا منها على قدره، و لا تخلو قرية من القرى الصغيرة من أن يكون فيها قارئون كاتبون، و الأخبار العمومية توصلها إليهم الجرائد العربية، ومن لا يقرأ لا يستنبيء الأخبار من القارئين. فبهذا أضافوا إلى الشعور الطبيعي و التقليد الديني محبة وطنية منشؤها التهذيب العمومي، قوي بها الميلان الأولان. و لا أظنهم يخالفون في ذلك سائر الأمم[1].[1]

[1] رحاب عكاوي، أعلام الفكر العربي، الإمام الشيخ محمد عبده في أخباره و أثاره، مرجع سابق، ص 65،66

ملحق رقم 02

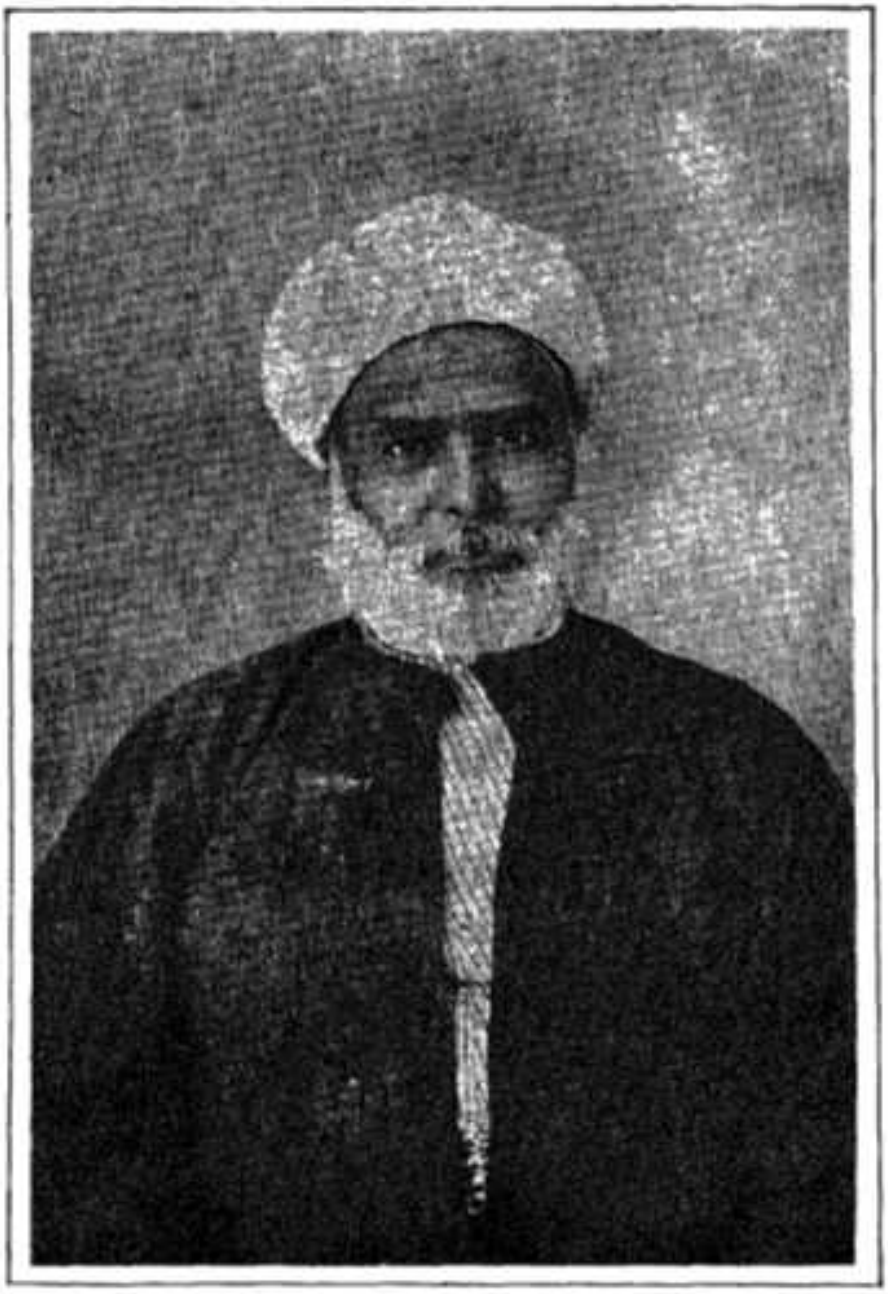

المرحوم الأستاذ الإمام
الشيخ محمد عبده
ولد سنة ١٢٦٦ وتوفي ١٣٢٣ هجرية
(١٨٤٩ - ١٩٠٥)

1

[1] محمد عبده، الأعمال الكاملة، مصدر سابق، ص.5

ملحق رقم 03

صورة زنكغرافية لرسالة كتبها الإمام إلى الشيخ علي الليثي بتاريخ ٩ صفر سنة ١٣٠٨ هـ (٢٤ سبتمبر سنة ١٨٩٠ م) . وجدها خير الدين الزركلي بين أوراق الشيخ علي الليثي. ونشر صورتها في [الأعلام] .

1

[1] محمد عبده، الأعمال الكاملة، مصدر سابق، ص.281

ملحق رقم 04

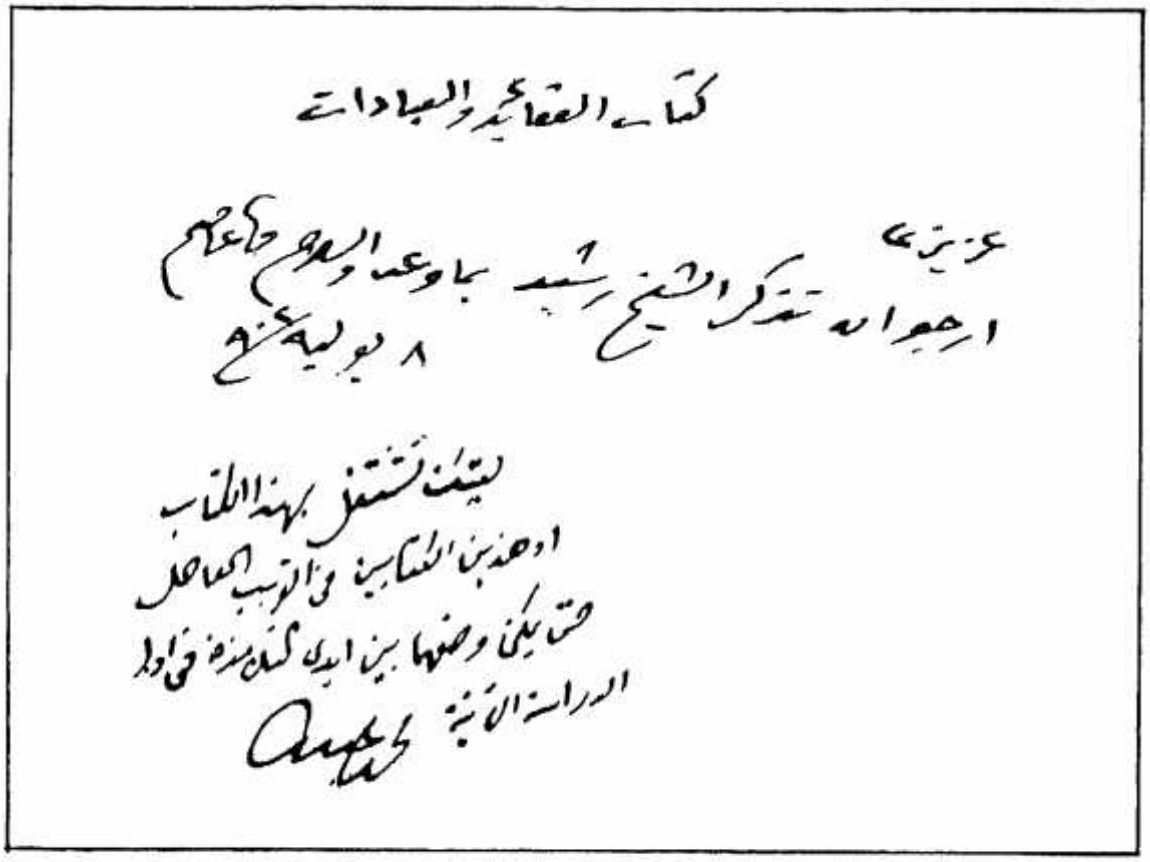

صورة زنكغرافية لكلمة طلب فيها الأستاذ الإمام من الشيخ رشيد رضا أن يشتغل بتأليف كتاب أو كتابين في العقائد والعبادات لمدارس (الجمعية الخيرية الإسلامية) . . وفوق كلمة الأستاذ الإمام - وهي بخطه - صورة كلمة بنفس المعنى كتبها حسن باشا عاصم وكيل الجمعية الخيرية الإسلامية .

1

[1] رحاب عكاوي، أعلام الفكر العربي، الامام الشيخ محمد عبده، المرجع السابق، ص.63

الفهرس

الفهرس

مقدمة .....أ

حياة الامام الشيخ محمد عبده..... 8

الفصل الأول: المرجعية الفكرية للفكر الإصلاحي عند محمد عبده..... 12

المبحث الأول: ضبط المفاهيم.....14

الإصلاح: لغة.....15

التجديد: INNOVATION.....15

التقليد: TRADITION. 16

النهضة: 17

المبحث الثاني: المرجعية الفكرية والمرجعية الدينية.....18

المبحث الثالث: أصول الإصلاح في فكر محمد عبده.....22

الفصل الثاني: تجليات الإصلاح عند الشيخ الإمام محمد عبده...... **28**

المبحث الأول: المظهر السياسي.....38

أ-موقفه من العلمانية.....38

ب-موقفه من الاستعمار الإنجليزي: 42

ج-موقفه من الاستبداد العثماني:.....46

د-مناداته بالوطنية. 47

المبحث الثاني: التربية والتعليم.....49

الأسرة والمرأة.....51

أ-حق المرأة في المساواة 52

ب- تعليم المرأة.....52

د-الطلاق.....52

المبحث الثالث: الإصلاح الديني والأخلاقي 55

موقفه من التقليد..... 58

الفصل الثالث: دراسة تحليلية نقدية. **63**

المبحث الأول: الأفاق الإصلاحية (الأهداف). 65

المبحث الثاني: الانتقادات الفكرية: 69

أ- إيجـابا: 69

ب – سلبا: 75

المبحث الثالث: ميراثه الإصلاحي 80

1.محمد رشيد رضا:..... 80

2.عبد الحميد ابن باديس: 82

3.مالك ابن نبي 84

4. علال الفاسي..... 84

خاتمة 87

قائمة المصادر والمراجع..... 91

الملاحق..... 98

الفهرس..... 104